وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المثقف و العنف في رواية " وطن من زجاج" لياسمينة صالح

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين :

- حساييني ليلة
- شعلال نادية

إشراف الأستاذ(ة):

- الحبيب عمي

السنة الجامعية: 2014/2013

بسم الله الرحمان الرحيم

و به نستعين

" و قل رب زدني علما"

الإهداء

الإهـــداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

وإلى إخوتي وأخواتي وأخص بالذكر

أختي صبرينة وأخي الأصغر رياض

والى كل العائلة والأصدقاء والأحباب

اهدي ثمرة جهدي هذا.

ليلة

إهداء

إلى الوالدين العزيزين الكريمين أطال الله في عمرهما.

وإلى أسرتي التي وقفت معي بما فيهم إخوتي وأخواتي، خصوصا أختي الصغرى صبرينة.

وإلى كل الأحباب والأصدقاء.

وإلى كل من مدّ لي يد العون في هذا العمل المتواضع.

نادية

مقدمة

يعتبر الخطاب الروائي التسعيني خطابا عبر عن أقتم وأعتم فترة من تاريخ الجزائر، خطابا استطاع من خلاله العديد من الروائيين على اختلاف مشاربهم الفكرية، وتعدد اتجاهاتهم الإيديولوجية تسليط الضوء على أهم الأسباب الجوهرية من سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية ، كانت بمثابة إرهاصات لدخول البلاد دوامة العنف والإرهاب لعشرية كاملة أتت على الأخضر واليابس .

واقع مأساوي كان شاهدا على تدهور الجانب المادي والنفسي للمواطن الجزائري الذي راح ضحية الصراع القائم بين الجماعات الإسلاموية المتطرفة ورجال السياسة من أجل إعتلاء كرسي الحكم والسلطة .

واقع حاول خلاله الروائيون إسقاط الأقنعة عن الممارسات اللامشروعة واللاقانونية لرجال السياسة والدين بطرحهم لمختلف القضايا التي شهدتها هذه الفترة ، فقررنا أن يكون موضوع بحثنا عن ظاهرة العنف في الرواية الجزائرية إبان هذه الفترة ، لذلك اتخذنا رواية " وطن من زجاج " للروائية ياسمينة صالح أنموذجا لبحثنا ، فكان هذا البحث الموسوم ب"المثقف والعنف في رواية وطن من زجاج " . وقد وقع اختيارنا للموضوع استجابة لرغبة ذاتية تولدت لدينا منذ سنوات تمثلت في أخذ فكرة عن واقع البلاد في فترة تسعينيات القرن الماضي والكشف عن حال المثقف الجزائري وجوانبه الحياتية إبان هذه الفترة .

أما اختيارنا لرواية " وطن من زجاج " فيعود إلى إطلاعنا عليها فوجدنا أنها الأكثر خدمة لموضوع بحثنا جسد فيها لواقع المأساة الوطنية والخراب والدمار وفقدان الإستقرار واللاأمن الذي شهدته الجزائر في تسعينيات القرن الماضي .

كما عبرت أيضا عن هموم ومشاغل ومشاكل النخبة المثقفة التي طالتها أيدي القتلة والمجرمين بتسليطها أقصى أشكال القتل والتعذيب والتذبيح في حقها ،فوقع عليها اختيارنا

للإجابة عن الأسئلة التي مثلت إشكالية البحث ، وهي إلى أي مدى وفق المثقف الجزائري في معالجة محنة وطنه ؟.

إلى أي مدى وفقت الروائية ياسمينة صالح في المزاوجة بين الواقع والمتخيل لرصد واقع الجزائر منذ بداية الاستقلال إلى غاية فترة التسعينيات ورصدها لوضع المثقف في هذه الفترة؟

وقد جاءت الخطة في : مقدمة وفصلين وخاتمة عنونا الفصل الأول ب : " صور المثقف والعنف في الرواية الجزائرية المعاصرة " وهو الجانب النظري، تناولنا فيه ما يلي: تمهيد، المثقف والسلطة ، الشخصية الروائية المثقفة ، المثقف الإيجابي المضطهد ، التعريف ، نماذج المثقف الإيجابي المضطهد ، وأيضا المثقف السلبي الإنتهازي ، التعريف، نماذج المثقف السلبي الإنتهازي ، ثم تمهيد ، العنف ضد المجتمع ، صور العنف ضد المجتمع ، العنف ضد المرأة ، تمهيد ، المرأة المثقفة المعنفة وأخيرا ظاهرة الإغتصاب .

ثم تطرقنا في الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي إلى دراسة وتحليل الرواية وتناولنا فيه : تمهيد ، العنف الإجتماعي وفيه شخصية معلم القرية ، شخصية عمي العربي ثم العنف المعنوي والنفسي وتناولنا فيه القهر النفسي للمرأة ، جلد الذات (الراوي) ، وأما العنف الجسدي (الاغتيال) فتناولنا فيه حادثة اغتيال رشيد (ضابط الشرطة) واغتيال النذير (ابن معلم القرية) واغتيال المصور كريمو، ثم أخيرا عنف اللغة وختمنا بحثنا هذا بخاتمة تمثلت في أهم النتائج المتوصل إليها خلال هذا البحث .

وفي الأخير نشكر الله العلي القدير على ما من علينا بفضله ، ثم نتقدم بالشكر الكبير والعرفان للأستاذ المشرف " الحبيب عمي " على تكبده عناء الإشراف على هذا البحث ، وبذل كل ما بوسعه لاستكمال بحثنا هذا ، كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع خصوصا الأستاذ "شيبان.

الفصل الأول

"المثقف و العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة"

I. صور المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة

تمهيد :

إن المتأمل في المتون الروائية الجزائرية لتسعينيات القرن الماضي، يجد معظم الروائيين قد إغترفوا مادتهم من الأزمة التي إجتاحت البلاد وأتت على الأخضر واليابس، فجسدوا لنا دوامة العنف والإرهاب ومختلف أشكال الخراب والدمار والقتل والتعذيب التي كانت من نصيب الشعب الجزائري على اختلاف فئاته ، من أطفال وشباب ونساء وشيوخ ، وحاولت الكشف عن نظرة المثقفين لها وكيفية معالجتها على اختلاف توجهاتهم الإيديولوجية ومشاربهم الفكرية والمعرفية .

كما عرضت أيضا للواقع المأساوي الذي عانت منه هذه النخبة المثقفة التي طالاها مختلف أشكال العنف وتعرضها للقمع والقهر والتهميش،"حيث طوردت معظم رموزها ونفيت، وضيق عليها الخناق وفي معظم الأحيان تتعرض للإغتيالات والتصفيات الجسدية"[1].

فالرواية التسعينية هي " رواية مثقف في زمن عنيف جعلت هذا المثقف يعاني مسألة الوجود في واقع فقد الإستقرار والأمن "[2].

إن العنف الوحشي والهمجي الممارس في حق المثقفين جعلهم متأرجحين ، " بين سندان حكم السلطة الظالم ومطرقة عنجهية الجماعات الإسلاموية المتطرفة "[3].

نجد في معظم النصوص الروائية الجزائرية التسعينية، " اتخاذ المثقف كشخصية أساسية ومحورية ليقوم عليها بناءها الفني "[1] ، فهي بمثابة فضاء سانح للبوح والتصريح

---

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ، د ط ، 2010 ، ص 191.

[2] شريف حبيلة ، الرواية والعنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط1، 2009، ص 121 .

[3] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 89.

بالحقيقة والمسكوت عنه فبالتالي نجد معظم أبطال روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج وإبراهيم سعدي وغيرهم مثقفين شاهدين على الأزمة التي مرت بها البلاد أثناء التسعينات من خلال العنف الممارس ضدهم .

فيمكن القول إن جل روايات هذه الفترة " تؤرخ لأزمة المثقف الذي أصبح هدفا لعملية العنف "[2] ، وأصبحت أعمال التفجير والتخريب والتدمير التي مست المنشئات العمومية والخاصة ، مشاهد يومية تعود على رؤيتها المواطن الجزائري .

لقد كانت أعمال العنف والدمار والخراب والقتل بمختلف أشكاله ، يحصد أرواح الآلاف من المواطنين ، " فلقد أصبح الموت اليومي سيد الموقف الحاكم في جزائر التسعينيات "[3] ومن الأعمال الروائية التي جسدت هذه المحنة والأزمة على سبيل المثال (بوح الرجل القادم من الظلام وفتاوى زمن الموت وصمت الفراغ والأعظم) لإبراهيم سعدي ، (الورم) لمحمد ساري، (بحر الصمت ووطن من زجاج) لياسمينة صالح ، (سيدة المقام ، حارسة الظلام ، ذاكرة الماء)لواسيني الأعرج ، (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، (تيميمون) لرشيد بوجدرة ، (كراف الخطايا) لعيسى لحيلح ، (أرخبيل الذباب ، بخور السراب ، المراسيم والجنائز ، شاهد العتمة ، خرائط لشهوة الليل) لبشير مفتي .

1- المثقف والسلطة :

من القضايا المهمة والأساسية ، التي كانت محط إهتمام بعض الدارسين والباحثين في دراساتهم التحليلية والنقدية قضية المثقف والسلطة ، فهذه الثنائية التي كانت في صراع دائم وما تزال إلى يومنا هذا تطرح وجودها بشكل واضح وبارز .

لقد عرضت مجمل المتون الروائية الجزائرية في فترة العشرية السوداء لهذه القضية

---

[1]المرجع السابق، ص 41.
[2]أمينة بلعلي ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 2007 ، ص 171 .
[3]سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، ص 24.

فالمثقف كونه إنسانا يمتلك " سلطة رمزية أي سلطة الكلام والكتابة "[1] ، التي تمكنه من إنتاج مخزون معرفي وفكري ، ووعي كامل بمكانته ودوره المتمثل في الدفاع عن حقوق شعبه ، و" تثبيت مواضعات مجتمعه وتكريس مفاهيم مرجعياته المؤسساتية من دين وسياسة وإجتماع "[2]، نجده دائما يقف موقف المناضل والمدافع عن حقوق مجتمعه والمعارض والمندد بالأوضاع التي يتعرض إليها من عنف وظلم وتعسف ووحشية .

فكون هذا الأخير من " دعاة التنوير "[3] بأفكاره وأرائه ، نجده يسعى دائما إلى إحداث تغيير في البني الفكرية والثقافية والإجتماعية والسياسية في حالة يقينه بوجود عطب ما يحدث خللا في هذه البنى .

وأثناء الحديث عن ثنائية المثقف والسلطة ، نقصد بالسلطة النظام القائم والحاكم ، " بغض النظر عن سلط أخرى لها أثر بالغ في مسارات المثقف وخياراته وقناعاته وأوضاعه المعاشية والفكرية المختلفة "[4] ، فمن بينها السلطة الأبوية التي أثرت تأثيرا بالغا في مواقفه وأرائه وخياراته ، " والتي تعد أولى السلط التي مارست وتمارس قمعها على المثقف منذ أولى مراحل حياته إلى مراحل متقدمة من عمره ، فهي أول سلط الإستبداد والقمع التي يتلقاها في حياته "[5].

وتعتبر رواية " بخور السراب " للروائي الجزائري بشير مفتي أحسن مثال ونموذج جسد عنف وقهر السلطة الأبوية وآثارها النفسية الوخيمة ، " فالسارد يعاني منذ الصغر من أب جامد المشاعر ، يعمل في مقبرة ، يعيش علاقة متوترة معه ، يسيطر عليها القلق والحيرة والنفور المتبادل ، فيعاني الضياع والشتات "[6].

---

[1] علي حرب ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1996 ، ص 57.
[2] محمود محمد إملودة ، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث ، الرواية الليبية أنموذجا(دراسة في النقد الثقافي) ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، الأردن ، ط1، 2010 ، ص 41 .
[3] علي حرب ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، ص 77.
[4] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 73 .
[5] المرجعنفسه، ص 74- 75.
[6] سعاد عبد الله العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، دار الفراشة للطباعة والنشر ، الكويت، ط1، 2010 ،ص 57.

أما فيما يخص السلطة الثانية التي لم يسلم من هيمنتها وشدتها ، فهي سلطة العادات والتقاليد التي كبلته وقيدت حرية إطلاق العنان لأفكاره وأرائه فبقي رهينة لها .

وأما السلطة الثالثة التي فرضت هيمنتها وسطوتها على المثقف هي سلطة النظام الحاكم الذي سلطأقصى أشكال العنف والقهر والتعذيب والتقتيل في حقه فالمثقف الجزائري في تسعينيات القرن الماضي " عانى غياب الديمقراطية والقمع والقهر وكبت الحريات ، فلا مجال للحوار ، ولا مجال لقول لا ، فتموت الحرية ويموت الإنسان "[1].

فالمثقف يجد نفسه في صراع دائم ومستمر معها ، لأن دوره المنوط في نشر الوعي والدفاع عن حقوق مجتمعه والسعي إلى إبلاغ وتجسيد رسالته التنويرية وإحداثه للتغييرات جعلته يقف موقف الرافض والمعارض والمندد للأوضاع المزرية والمتدهورة التي مست جميع المستويات والممارسات اللاقانونية لسلطة النظام ، فلهذا " تعمد إلى إقصائهم أو سجنهم أو تصفيتهم "[2].

وفي بعض المتون الروائية الجزائرية حاول الكتاب تسليط الضوء على تورط السلطة وتوجيه أصابع الاتهام نحوها في الممارسات غير الشرعية لأعمال العنف والقمع والقهر التي سلطتها على المثقف ، فاضطهدته وحاولت إرغامه على الصمت والسعي إلى كبت حرية التعبير لديه ، كما عانى أيضا الإهانة والاحتقار والدونية عن طريق الشتم والسب : " وهكذا يحكم النظام قبضته على رقبة المثقف ويضيق الخناق عليه ، فتغيب الديمقراطية وتكبت الحريات وينكل بكل من حاول دس أنفه فيما لا يعنيه "[3].

فالمثقف الجزائري في تسعينيات القرن الماضي غيب إنتماءه إلى حد بحثه المستمر عن ذاته كإنسان أولا وفرد من أبناء هذا الشعب ثانيا .

---

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 36 .
[2] علي حرب ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، ص 145 .
[3] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 82.

وتعتبر رواية " دم الغزال " للروائي الجزائري مرزاق بقطاش أحسن صورة ونموذج لتواطؤ السلطة ، وتوجيه أصابع الاتهام نحوها وإدانتها بارتكاب أعمال العنف والقمع والظلم في حق الشعب الجزائري ، كما عمد الروائي إلى تسليط الضوء أيضا على حادثة اغتيال " الرئيس محمد بوضياف " هذه الشخصية السياسية التي عرفت بإخلاصها ونزاهتها وحبها للوطن " ولأنه حاكم شريف ونزيه ، ووجوده بهذه النزاهة الخالصة يتعارض ومصالحهم "[1].

ولهذا كان مصيره الإغتيال أمام أعين الجميع برصاصهم الغادر فكان حاله حال معظم الرجال النزهاء والمخلصين الذين أعلنوا رفضهم ومعارضتهم للممارسات اللامشروعة لرجال السياسة ، فكانوا بمثابة قربان لظلمهم وتعسفهم ووحشيتهم.

كما تجلت أيضا صورة ونموذج السلطة المتواطئة والمتهمة في أعمال العنف والقمع في رواية " سادة المصير " للروائي الجزائري سفيان زدادقة ، التي حاولت عرض أهم الممارسات التعسفية والوحشية لظلم السلطة على حساب رقاب أبناء هذا الشعب من أجل تحقيق مصالحها الذاتية والنفعية ، ومحاولتها نسبها إلى الجماعات الإسلاموية المتطرفة، التي عاثت في البلاد خرابا ودمارا وأدخلتها دوامة جهنمية عانى منها الشعب الجزائري وانتهكت جميع حقوقه لمدة عشر سنوات.

إن تفشي أعمال العنف بصورة رهيبة كان موقفا إيجابيا استغلته السلطة لستر أعمالها الإجرامية فكانت " تقوم بإرسال مجموعة من الملثمين لكي يقضوا على سكان القرية جميعا عن بكرة أبيهم "[2].

أما النص الروائي الثالث الذي رصد لنا إتهام السلطة وتواطؤها الرهيب في أعمال العنف والإضطهاد في حق النخبة المثقفة ، فيتمثل في رواية " حارسة الظلال " للروائي الجزائري واسيني الأعراج حيث حاول الروائي تجسيد موقف المثقف الإيجابي الملتزم الذي

---

[1] سعاد العنزي ، صورالعنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 61 .

[2] المرجع نفسه ، ص 60.

يسعى دائما للدفاع عن الحق ومشروعية الحقيقة ولكنه يتعرض إلى أبشع طريقة وأفضعها لمحاولة إسكاته وكبت حرية التعبير لديه ، " فقد قام مبعوثو السلطة بقطع لسان البطل السارد لأنه بأسئلته وبدفاعه عن ضيفه وبجديته في الطرح التي لا تروق لذوي المناصب الكبيرة ، يقطع لسانه بإيعاز من الوزير لكي يكون مواطنا صالحا على حد قوله "[1] .

فالمثقف الجزائري :" غير متصالح مع السلطة بطبيعته ، وفي نفس الوقت فهو لا يجد من يحميه من غضب المتطرفين وليس لديه الوسيلة ، ولم تتح له فرصة أداء دوره الحقيقي في حمل رسالة التنوير الحقيقية تمهيدا لثورة ثقافية حقيقية "[2]

2- الشخصية الروائية المثقفة :

تلعب الشخصية الروائية المثقفة دورا بالغ الأهمية في سيرورة الأحداث وتتابعها في الخطاب الروائي، " فهي مختارة في النصوص الروائية لتعبر عن دلالات إيديولوجية، وبذلك تتحول هذه الشخصيات إلى أفكار وإيديولوجيات ليست متساوية الحركة فكريا وفنيا "[3] فكون المثقف إنسانا ذا ميولات إيديولوجية معينة ، وإنتماءات متعددة ، فمهمته تكمن في نشر الوعي بين أوساط مجتمعه ، وإمتلاكه رؤية نقدية بناءة للإحاطة بكل القضايا والمشاكل التي يعاني منها مجتمعه ، وبالتالي هيمنته على الشخصية المحورية والرئيسية في المتون الروائية التسعينية .

ويمثل الجدول الآتي " لشريف حبيلة " عينة لبعض النصوص الروائية التي يكون فيها البطل شخصية مثقفة *

الرواية	الوظيفةوالموهبة

[1] المرجعالسابق، ص 61.
[2] نفسية الأحرش ، كتابات إمرأة عايشت الأزمة ، منشورات جمعية المرأة في اتصال ، الجزائر ، ط1، 2002، ص 40.
[3] علال سنقوقة ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2000، ص 218.
*ينظر شريف حبيلة ، الرواية والعنف ، ص 121 .

سيدة المقام	ـ البطل أستاذ جامعي وروائي . ـ البطلة جامعية وراقصة بالي.
ذاكرة الجسد	ـ فنان تشكيلي (الرسم).
إمرأة بلا ملامح	ـ طالب جامعي .
تيميمون	ـ دليل سياحي .
الشمعة والدهاليز	ـ أستاذ جامعي وشاعر .
دم الغزال	ـ عضو المجلس الإستشاري وكاتب .
بين فكي .... وطن	ـ أستاذ جامعي .
الشمس في علبة	ـ صحفية وكاتبة .
يصحو الحرير	ـ فنانة تشكيلية (النحت).
كراف الخطايا	ـ جامعي وكاتب .

وحسب قول " شريف حبيلة " ، " الملاحظة الثانية المسجلة من القراءة الأولية للروايات هي نوعية الأبطال الذين كانوا جميعا من الفئة المثقفة ، تدل عليهم وظائفهم، والمواهب التي يمارسونها ، ومواقفهم وآراؤهم في القضايا المطروحة "[1]، وهذه الملاحظة نسجلها أيضا في مجمل المتون الروائية الجزائرية حيث نجد دائما شخصية البطل هي شخصيات مثقفة (أستاذ جامعي، كاتب ، رسام، موسيقي ، طالب جامعي، محامي ...).

على سبيل المثال روايات بشير مفتي (أرخبيل الذباب، بخور السراب، المراسيم والجنائز)، إبراهيم سعدي (فتاوى زمن الموت ، بوح الرجل القادم من الظلام ، صمت الفراغ ،الأعظم)، ياسمينة صالح (وطن من زجاج ، بحر الصمت).

فمعظم الأعمال الروائية الجزائرية التسعينية عرضت عدة نماذج من المثقفين ، الذين تعددت طرائق مواجهتهم ومعالجتهم للأزمة التي عصفت بالبلاد في العشرية السوداء

[1] المرجع السابق ، ص ن .

لتسعينيات القرن الماضي ، " فنجد من كانت لديهم نوايا صادقة من أجل تخليص الوطن ، ولكنهم انكسروا أمام عتو عنف الإرهاب أو النظام ، رغم قلتهم "[1].

وفئة أخرى من المثقفين أعلنت الإستسلام خوفا من الموت المتربص بها من كل الجوانب،" فقررت الإنطواءوالإنعزال كأحسن طريقة، والإهتمام فقط بأمورها الخاصة "[2].

أما الأخرى فلاذت بالفرار والهروب إلى أوطان أخرى بحثا عن الإستقرار والسلم والأمن والسكينة .

أما الفئة الأخرى " نكأت في جرح الوطن فخانته بطرق متعددة إما بسعيها لتحقيق مصالحها وطموحاتها على حساب مصلحته أو بإنضمامها للمتطرفين الذين عاثوا في الوطن فسادا "[3].

3)المثقف الإيجابي المضطهد :

أ) التعريف :

إن المثقفين باعتبارهم فئة من المجتمع ، وعلى صلة وطيدة به، يسعون إلى التعبير عن التغيرات والتحولات التي تطرأ في البنى الثقافية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية لمجتمعاتهم ، وتأدية واجبهم نحو هذا الوطن المتمثل في نشر الوعي بين أوساط مجتمعهم والتقصي الدائم للحقيقة ، " وهذا هو الوضع الصحيح لأي إنسان قبل أن يكون مثقفا واعيا بدوره في الحياة"[4].

فالمثقف الإيجابي إنسان يتصف بالجرأة والإقتناع ، لذا نجده دائما مخلصا ومحبا لوطنه ، ويتجسد ذلك في حبه لمهنته التي يمارسها بكل صدق وأمانة ، والسعي والدائم لمحاربة شتى أشكال العنف والخراب والدمار ، والدفاع عن حقوق هذا الشعب ، والسعي

---

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 42.
[2] المرجع نفسه ، ص ن .
[3] م ن ، ص ن .
[4] سعاد العنزي، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 50.

لإنتشال وطنه من الدوامة الجهنمية التي عانى منها لعشرية كاملة ، خيمت عليه أجواء القتل والتعذيب والقهر والإهانة .

فالمثقف الجزائري باعتباره فردا من مجتمعه ، عانى كثيرا من ويلات الإرهاب بحيث سلط عليه أقصى وأشد أنواع التعذيب والتقتيل والقهر ، وعانى التهميش والإحتقار والنفي واللامبالاة والإهانة ، وفي معظم الأحيان من التصفيات الجسدية والاغتيالات المباغتة والمفاجئة ، " فالعنف كان من نصيب الصحفيين والإعلاميين والمفكرين بوصفهم فئة من المثقفين الملتزمين ، الذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة ، وهذا الأمر كلفهم أرواحهم في أغلب الأحوال"[1].

وتؤكد معظم الدراسات الجزائرية النقدية المعاصرة أن " مجمل الروايات عرضت لجدلية الصحافة والإرهاب ، فالإرهابي أكثر ما يكدر صفوه هو الصحفي ، لذلك كان بمثابة حجر العثرة التي يتعثر بها ، لأنه ينقل جميع أخبار الإغتيالات لآلاف ضحاياه ومدى بشاعة أفعالهم الإرهابية "[2].

ب) نماذج المثقف الإيجابي المضطهد :

فدور المثقف الملتزم والمصلح والمرشد ، جسده الروائي الجزائري بشير مفتي في روايته "أرخبيل الذباب" في شخصية الصحفي مصطفى " الذي حاول دائما التقصي عن الحقيقة ونشر الوعي"[3] بين أفراد مجتمعه عن طريق أفكاره التي جسدها في مقالاتهالصحفية ، لكنه لقي استنكارا من صديقه محمود البراني : " لماذا يورط نفسه أحيانا في قضايا لا تعنيه، كلنا طبعا متأففون من الوضع وغير راضين على ما يحدث ... لكنه يريد أن يحفر في المسائل ..."[4].

---

[1] المرجع السابق، ص ن .
[2] المرجع نفسه، ص ن .
[3] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 42.
[4] بشير مفتي ، أرخبيل الذباب ، منشورات البرزخ، الجزائر ، د ط ، 2000 ، ص 37.

فهذه الشخصية الصحفية " كانت دائمة التحذير من الدوامة الجهنمية التي تتجه إليها الجزائر ، إن تركت في أيدي أصحاب الجماعات الإرهابية "[1] التي أتت على الأخضر واليابس وعاثت في البلاد دمارا وخرابا ، يقول صديقه محمد البراني : " لقد لاحظت من أول وهلة عنف كلامه وقدرته التحليلية الواضحة واستشرافه لمستقبل كئيب كان الجميع يثور ضد حماسه ويعتبرونه نموذج المثقف الخائب الذي لا يعرف إلا التبشير بالهزيمة "[2].

وفي الأخير أعلن الاستسلام وإلتزامه الصمت والهجرة إلى الخارج بعد صدامه مع الجماعات الإسلاموية المتطرفة، فيصرخ هذا الأخير بانهزامه قائلا : " مصطفى المنطلق والحيوي الثائر دائما أصبح جثة يابسة ، متكلسة عاجزة عن فعل أي شيء ..."[3]

وبعد إنكساره واستسلامه وصفه صديقه الكاتب (س) : " لقد وجد ضالته في الصمت، حاول أن يختفي عن الأنظار وأن ينصت لكينونته التي تمزقت "[4].

كما تجلى أيضا في رواية " بخور السراب" لبشير مفتي نموذج المثقف الذي أعلن موقف الرفض والمعارضة لنظام الحكم وظلم المتطرفين الذين عاثوا في البلاد فسادا وعنفا، " فكان لهما بالمرصاد في أفكاره وأرائهالتحليلية والتنويرية "[5] ، فهذه الشخصية تجسدت

في خالد رضوان " كان يصرخ ضد من يتاجرون بأحلام البسطاء ويصنعون منها دائما أمجاد وهمية "[1]

---

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 42.
[2] بشير مفتي ، أرخبيل الذباب ، ص 132 .
[3] المرجع نفسه ، ص 29.
[4] م ن، ص 41 .
[5] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 43 .

كان دائم المثابرة والإخلاص في عمله " والسعي الدائم الى نشر التوعية في أوساط الطلبة ، وكشف الحقيقة " [2] عن طريق إسقاط الأقنعة عن الممارسات غير القانونية للنظام: " كان في نهاية كل أسبوع يجمع حوله الطلبة ويتحدث "[3]

كان دائما محل مطاردة مستمرة من النظام ، وهذا راجع إلى تأثيره البالغ والإيجابي في شحذ همم الطلبة : " الطلبة : " كان يحترمونه ويقدرونه ويستمعون إلى كلامه حتى لا أقول يأتمرون بأوامره ويستجيبون لدعواته "[4]

فنهاية هذا المثقف المصلح والمغير كبقية المثقفين الجزائريين الذين عانوا ويلات الإرهاب وسلط عليهم أقصى وأشد أشكال التعذيب والتقتيل والذبح ، فأعلنوا من جهتهم الإستسلام من جراء التهميش والإنكسار واللامبالاة والنظرة الدونية والإحتقارية التي قضت على كينونته الحقيقية المنوطة بنشر التوعية والدفاع عن حقوق شعبه المسلوبة والمغتصبة .

وتعتبر رواية " صمت الفراغ " للروائي إبراهيم سعدي أحسن مثل ونموذج لصورة المثقف المخلص والمحب لوطنه وعمله ، جسدها الروائي في شخصية الصحفي " عبد الحميد بوط " الشجاع والمقدام والجريءومهمته ودوره الفعال في نشر الوعي وتقصي الحقيقة والبوح بالمسكوت عنه عن طريق مقالاته الصحفية ، وتحدثه عن كل الإغتيالات والاعتداءات الوحشية والهمجية في حق الشعب الجزائري دون أي تمييز بين مختلف شرائحه الإجتماعية .

فرغم كل الصعوبات والمعيقات التي صادفته من طرف المجموعات الإرهابية المتطرفة ، إلا أن إيمانه وقناعته كانا كبيرين للإستمرار قدما في واجبه نحو هذا الوطن الذي تناهشته أيدي الطاغوت والتيارات الإسلاموية المتشددة .

---

[1]بشير مفتي ، بخور السراب ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2004، ص 34 .
[2]سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 43 .
[3]بشير مفتي ، بخور السراب ، ص 34 .
[4]المرجع نفسه ، ص 42.

فلقد كان إنسانا لا يهاب الأخطار ، فواصل مهمته وواجبه إلى أن لقي حتفه على يد جماعة إرهابية مسلحة كان يقودها " جعفر بودا " ، فهذا الأخير كان يكن له عداوة كبيرة من أيام الجامعة ، وهو الذي أوكل مهمة اغتياله لمراهق شاب ، يقول الصحفي : " أنت لازلت طفلا ... لقد أصدروا ...قانونا ...إسمه قانون ...التوبة ...أهرب ...أهرب ...قبل ...قبل ...فوات الأوان ... لا تكن أحمق ...أنت لازلت طفلا ...أنا لاتهمني سوى مصلحتك ... فكر في الأمر قال عبد الحميد بوط بصوته الواهن"[1].

فكانت أحداث ووقائع هذه الرواية تمتح من الواقع الراهن للجزائر بداية تسعينيات القرن الماضي ، كما عمد الروائي إلى تسليط الضوء على أهم النتائج التي أفرزتها أحداث أكتوبر 1988 م التي أدخلت الجزائر دوامة العنف والإرهاب ومختلف أشكال الفساد والخراب والقهر والتعذيب التي مورست في حق أبناء الشعب الجزائري .

وفي الأخير عرض الكاتب فكرة الوئام والمصالحة الوطنية التي كانت بمثابة خطوة هامة لدخول الجزائر أجواء الأمن والسلم والطمأنينة والسكينة بعد استفتاء شعبي عام من قبل شعب عانى الكثير .

فالمثقف رغم اختلاف المناصب التي يشغلها كصحفي وإعلامي ومفكر ومعلم وشرطي ، إلا أن مهمته واحدة هي نشر الوعي وإحداث تغيير ما بآرائه وأفكاره التحليلية .

فالشرطة باعتبارها فئة مثقفة تسعى دائما لدفاع عن القيم الإنسانية ومحاولة تثبيتها، فلقد لعبت دورا بالغ الأهمية في التصدي للمتطرفين والجماعات الإرهابية المتشددة وتكريس جميع الإمكانيات لمحاربتهم والقضاء عليهم خلال سنوات المحنة التي عصفت بالبلاد، فلقد كانت النتيجة وخيمة جدا حصدت الآلاف من أرواح رموزها التي تعرضت للاغتيالات والاعتداءات الجسدية المبرحة ، كما سلط عليها أقصى أشكال التعذيب والقهر والتنكيل وأحسن مثال عن هذه الفئة (الشرطة)المفتش أحمد في رواية " بخور السراب" الذي كرس " وقته لمحاربة المتطرفين لأنه على دراية بسمو الأمانة التي يحملها ، وتكريس

[1]إبراهيم سعدي ، صمت الفراغ ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، دط ، 2006، ص 177.

نفسه للدفاع عن وطنه "[1] رغم المتاعب التي تحول دون القيام بذلك ، يقول : " الأمر صعب للغاية ، ومنذ سنوات ونحن نحاربهم بقوة وهم يحاربون المجتمع بعنف ، ولا أحد يرحم أحدا ...، منذ بداية المواجهات تركت كل شيء ورائي مهمتي محددة الآن ، القضاء عليهم وكفى ..."[2].

فنجد المفتش أحمد يصف لصديقه المحامي حالة الخوف والذعر والقلق التي تنتابهم وتسيطر عليهم ومصيرهم المحتوم بالموت المتربص بهم من كل الجهات فيقول : " لا يعلمون ماذا ينتظرهم بعد ساعة أو بعد غد ... يحاربون ضد أشباح لا يعرفون عنهم إلا أنهم قادرون على الذبح وعلى لسانهم كلمات غيب مهلكة ..."[3].

فهذه بعض نماذج للمثقفين الملتزمين الذين أعلنوا إيمانهم القوي بالقضية الوطنية والنضال من أجلها عن طريق سعيهم الدائم لنشر الوعي بين أوساط أبناء مجتمعهم ، وحملهم للرسالة التنويرية عن طريق تجسيد أفكارهم وأرائهم ومواقفهم الرافضة والمعارضة للممارسات غير القانونية لنظام الحكم وللأعمال الإرهابية ، والتصدي لجميع العوائق التي حالت دون ذلك ، إلا أنهم أعلنوا الاستسلام والإنكسار والفشل من انتشال هذا الوطن من دوامة العنف الجهنمية التي عانى منها لعشرية كاملة أتت على الأخضر واليابس.

4)المثقف السلبي الإنتهازي :

أ) التعريف :

---

[1]سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 50.
[2]بشير مفتي ، بخور السراب، ص 132 .
[3]المرجع نفسه ، ص 126.

المثقف الجزائري في بداية تسعينيات القرن الماضي ، عانى ويلات الإرهاب الذي سلط عليه " أقصى أنواع التنكيل والقهر والترهيب ، وكان شاهدا على خراب وطنه وانهياره ، خلال تلك الفترة "[1] وتخبط في دوامة العنف والفساد والقتل ، لذلك نجده دائم الشعور باليتم والإهانة والتهميش واللامبالاة في وطن ليس كباقي الأوطان .

فالوطن هو تلك الرقعة الجغرافية ، التي تتمتع بالسيادة الوطنية ، ويسود فيها الإستقرار والطمأنينة والحرية وتحتضن جميع أبنائها ، إلا أن جزائر التسعينيات تختلف عن هذه الصورة المثالية للوطن من جراء فساد حكم النظام وهمجية ووحشية الأعمال الإرهابية، وبالتالي تدهورت الأوضاع المعيشية للمجتمع الجزائري .

ويصل الحد بالبعض من هذه الفئة المثقفة إلى إهانة هذا الوطن الجريح الذي أصبح لقمة سائغة من طرف هؤلاء المجرمين وتنعدم فيه فرصة تحقيق الأحلام " ووسط هذا الجحيم ، كانت رؤية المثقف للعالم سوداوية ورؤيته لذاته فيها الكثير من الاحتقار والشعور بلا جدوى وجوده "[2].

فلا أمل للتغيير أو البحث عن أوضاع جديدة لتجاوز الواقع الراهن وانتشال البلاد من دوامة العنف والفساد ، فكل هذه الأوضاع المزرية دفعت بالكثير منهم للقيام بأدوار سلبية تجاه هذا الوطن وتخليهم عن دورهم في نشر التوعية والدفاع عن حقوق شعبهم ، " وبدلا من أن يجعلوا مخزونهم المعرفي والقيمي سبيلا لإعلاء كلمة الحق وبناء المجتمع ، جعلوه سبيلا وطريقا للهدم والدمار"[3].

ب) نماذج المثقف السلبيالإنتهازي:

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 41.
[2] المرجع نفسه ، ص 29 .
[3] سعاد العنزي ، صورالعنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 50.

إن الحزن والإحباط واليأس الشديد ، هي أحاسيس سيطرت على نفسية المثقف " فيتيه ، ويرتبك ، وتضيع معالم وجوده وسط خراب الوطن "[1] ، وبالتالي اختلطت عليه المفاهيم فتخلى عن مهمته ورغبته في مواصلة النضال وتأدية رسالته النبيلة المتمثلة في نشر الوعي والدفاع عن حقوق شعبه المغتصبة .

فهذا الموقف جسدته شخصية مصطفى الصحفي في رواية " أرخبيل الذباب " قائلا : " كنت أقول دائما بأن هناك معنى لوجودي وحتى لنضالي، كنت أشعر بأن هناك حقيقة ما يجب التمسك بها والإنتصار لها ولكن الآن لم يبق هناك ما من شأنه أن يملأني بتلك النشوة، أشعر بالشيخوخة ، ثلاثون سنة فقط تحولت خلالها إلى عجوز لا يقدر حتى على التنقل بين بيته وعلمه "[2].

لقد كانت مشاعر بعض المثقفين الجزائريين تتأرجح بين الإحساس بالإحباط والقلق والإهانة والتهميش وفقدان الثقة النفسية فبالتالي سيطرت عليهم النظرة التشائمية لإحداث أي تغيير والسعي لإنتشال هذا الوطن من أوحال الخراب والدمار ، وعلى سبيل المثال شعور الكاتب (س) في رواية " أرخبيل الذباب" : " لحد الساعة مثل من أصبح ثقيلا ووجوده فائضا من الحاجة نظرتي شاحبة للكون "[3].

أما الفئة الأخرى فقد خانت وطنها " ونكأت جرحه بطرق عديدة ، إما بإنضمامها للجماعات المتطرفة والدفاع عن مبادئها وقيمها وإما بنهب واختلاس أموال الشعب والدولة "[4].

وهذا الموقف السلبي جسده الروائي الجزائري محمد ساري في روايته " الورم" في شخصية المعلم كريم الذي قرر الانضمام إلى الجماعات المتطرفة فيقول : " بدون كلمة ،

---

[1] المرجع السابق، ص 26 .
[2] بشير مفتي ، أرخبيل الذباب ، ص 29.
[3] المرجعنفسه، ص 11.
[4] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 42.

إقتفيت أثر أميري يزيد الحرش ، متبوعا بعبد اللطيف ، إنني مسرورا جدا بهذه الترقية ، إنها البداية ، أنا أيضا أرغب في رتبة أمير يقود جماعة من الرجال الأشداء ينصاعون لأوامري ، قريبا إنشاء الله "[1].

وأما الفئة الأخرى " تخلت عن مسؤوليتها تجاه وطنها عن طريق الهروب والفرار إلى أوطان أخرى ، فبالتالي أصبحت قبلتها "[2] محاولة البحث عن الذات وعن حقيقة إنتماءها ، عسى أن تجد الوطن الحقيقي الذي إفتقدته في جزائر التسعينيات ، ويتمثل ذلك في قول المحامي في رواية " بخور السراب " : " أخبرتها أن كل شيء ضدنا الآن ، أن الجزائر تغرق وأن الحياة التي ننشدها ستموت إن لم نهرب "[3].

فالرواية الجزائرية في بداية التسعينيات إمتحت مادتها من الواقع الراهن للتحولات السياسية والإقتصاديةوالإجتماعية المزرية المتدهورة التي عاناها الشعب الجزائري ، فهي " بمثابة سند تاريخي تؤرخ لمرحلة من أقتم وأعتم المراحل التي شهدتها جزائر ، ما بعد الإستقلال وشاهدا على ماعاناه الجزائري من عنف وبربرية "[4]

وتأريخ لمحنة النخبة المثقفة ، فعبرت أصدق تعبير عن مشاغلها ومشاكلها وعذاباتها، فكان مصير معظم رموزها ، " تتقاذفه رباعية : الإغتيال ، الإنتحار ، الفرار ، السقوط والإنهيار النفسي والعصبي "[5].

II. صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة

تمهيد :

---

[1] محمد ساري ، الورم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2002، ص 194.
[2] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 32.
[3] بشير مفتي ، بخور السراب ، ص 104.
[4] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 19.
[5] المرجع نفسه ، ص 40 .

إن تفشي ظاهرة العنف والإرهاب بشكل مخيف ورهيب في الجزائر بداية تسعينيات القرن الماضي ، وما صاحبها من أعمال الخراب والدمار والقتل والتعذيب ، التي مست مختلف الشرائح الإجتماعية بكل إنتماءاتها المختلفة ، حتى المنشئات العمومية من مدارس ومعاهد ومستشفيات ومراكز أمنية ، لم تسلم من وحشية وغطرسة المجموعات الإسلاموية المتطرفة ، فهذه الظاهرة الخطيرة ، كانت نتيجة حتمية بما آلت إليه الأوضاع السياسية والإقتصاديةوالإجتماعية من تدهور وسوء وخلل في كل أنظمتها ، إثر " ذلك الشرخ الذي حدث في أكتوبر 1988م ، وما صاحبه من إهتزازالقيم وانتشار الآفات الإجتماعية والأخلاقية "[1].

لقد كان الواقع الجزائري المأساوي ، الذي بلغ ذروته مع بداية التسعينيات ، بمثابة مرجع أساسي ومحوري للعديد من الكتابات الروائية ، التي اتسم بناؤها الفني والجمالي ، بتصوير شدة العنف ورهبته على اختلاف أنواعه ، من مادي ، ومعنوي ، ولفظي ، وآثاره على نفسية الفرد الجزائري ، الذي عانى الكثير ، " فنجد معظم روايات التسعينيات تعبر بمختلف أشكالها وبدرجات متفاوتة عن هذه الوضعية المتأزمة والمأساوية "[2] . فالأديب الجزائري على اختلاف وتعدد توجهاته الإيديولوجية والفكرية والسياسية والإجتماعية ، حاول ترجمة المأساة الوطنية بتسليط الضوء على آثارها الوخيمة على نفسية المواطن الجزائري.

ولقد كانت الكتابة الروائية التسعينية ، بمثابة مرآة حقيقية عكست بشاعة الأحداث الدموية ، التي كانت ترتكب في حق أبناء هذا الشعب ، " فلم يكتف الروائيون بتصوير الموت والإغتيالات فقط ، بل صوروا العوامل التي ساعدت على هيمنته كالبيروقراطية والإقصاء ووضع المثقف ، والجهل وغيرها من الظواهر المسببة أو الناتجة عن فعل الموت "[3].

---

[1] أمينة بلعلي ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، ص 87.
[2] المرجعنفسه، ص 79.
[3] المرجعالسابق ، ص 85.

لقد تعددت وتنوعت النصوص الروائية ، التي حاولت البحث دائما عن الأسباب السياسية والإجتماعيةوالإقتصادية الحقيقية ، التي كانت نتائجها بمثابة إرهاصات مهدت لدخول الجزائر مرحلة معتمة عانت منها لعشرية كاملة .

ويذكر الباحث شريف حبيلة عشر نماذج للروايات ، التي كانت بمثابة سندات حية وصريحة لظاهرة العنف ، التي اجتاحت الجزائر وأدخلتها دوامة جهنمية وهي :*

ـ الطاهر وطار : " الشمعة والدهاليز ".

ـ كمال بركاني : " إمرأة بلا ملامح ".

ـ أحلام مستغانمي : " ذاكرة الجسد ".

ـ مرزاق بقطاش : " دم الغزال " .

ـ واسيني الأعرج : " سيدة المقام ".

ـ أمين الزاوي : " يصحو الحرير " .

ـ عبد الله عيسى لحيلح : " كراف الخطايا " .

ـ رشيد بوجدرة : " تيميمون ".

ـ زهرة ديك : " بين فكي ... وطن ".

ـ سعيد هوارة : " الشمس في علبة " .

فاختياره لهذه النماذج الروائية ، جاء بعد مراعاته لثلاث عوامل :

" أن تكون للرواية علاقة وثيقة بالأزمة الجزائرية .

ـ أن يكون العنف مرجعا لها ، له أثر في بنيتها .

---

*ينظر شريف حبيلة ، الرواية والعنف ، ص 5.

ـ أن تطرح وتتعرض لمختلف القضايا التي أنتجها العنف "[1].

ولقد تفاوتتهذه النصوص الروائية في رصدها لظاهرة العنف وأسبابها الجوهرية المتعددة من سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ، فهي بمثابة " لوحة تصور مأساة الإنسان الجزائر ومعاناته من ويلات الإرهاب ، فماتت وتعطلت لغة الحياة الطبيعية لتحل محلها لغة الموت والفناء ، لغة لا تحمل من المعاني الإنسانية سوى الخوف والحذر وموت القيم الجميلة "[2].

1)العنف ضد المجتمع :

إن عمق الشرخ الإجتماعي ، الذي أعقب أحداث أكتوبر1988م ، وما نتج عنه من سوء الأوضاع الإجتماعية ، وبالتالي تدهور المستوى المعيشي لمعظم الأسر الجزائرية التي عانت الفقر والجوع والحرمان والبؤس ، وغيرها من الآفات الإجتماعية ، إضافة إلى الصراعات السياسية حول السلطة والحكم ، بين الأحزاب السياسية المختلفة والتيارات الإسلاموية المتطرفة باختلاف توجهاتها الفكرية والعقائدية ، إثر التناحر والتصادم المصدم حول إعتلاء كرسي الحكم والرئاسة ، فكان الشعب الجزائري بمثابة كبش فداء وضحية له ، فعانى هذا الأخير أساليب القمع والتحقير والإذلال والإهانة والقتل الوحشي ، من طرف الجماعات الإرهابية المتطرفة ، كما عمدت هذه الأخيرة إلى زعزعة الاستقرار ، والقضاء على الأمن الوطني، بشتى وسائل الترهيب والتقتيل الفردي والجماعي ، " فساد في المجتمع التوجه نحو الذاتية ، والبدائية ، غالب الشعب ينظر إلى مصلحته الذاتية ، وكيف يحافظ على حياته ، وينجو من هذا الوحش الذي يسير في المدينة ليلتهم من يشاء وكيفما اتفق "[3].

فأصبح الفرد الجزائري يعيش حالة نفسية متأزمة ، يكتنفها الشعور الدائم بالخوف والحذر، وفقدان الثقة حتى في أقرب الناس إليه " فهو يسير حذرا ملتفتايمينا ويسارا ، خوفا من شبح الموت الذي يتربص به أينما ذهب الحذر والحيطة والقلق والتردد وانعدام الثقة

---

[1] المرجع السابق، ص ن .
[2] سعاد العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 110 .
[3] المرجع نفسه، ص 81 .

والشك"[1]، فحرصه الشديد على البقاء على قيد الحياة ، والنجاة من قناصي الموت ، ولدت لديه " خوف مرضي، فوبيا قاتلة ومد مرة تجعل الحياة تعود إلى ردة حضارية وإنسانية "[2].

***صور العنف ضد المجتمع :**

إن هذه الحالة الهيستيرية من الخوف ، جسدها الروائي الجزائري " مراد بوكرزازة " في روايته " شرفات الكلام "، من خلال شخصية مطرب جزائري شهير ، يعاني من فقدان دفء أسرته وحنانها، بسبب بعده عنها لمدة طويلة، من جراء " الإحساس بقدوم خطر الموت المتربص به، فيلجأ هذا الأخير إلى تغيير عنوان سكنه ، وطريق عودته وذهابه من وإلى العمل "[3].

كما عمد أيضا الروائي الجزائري " بشير مفتي" في روايته " بخور السراب" إلى تسليط الضوء عن حالة الخوف والرهبة التي سيطرت على الطبقة المثقفة من صحفيين وإعلاميين وكتاب وأدباء، " بحيث يسكنون في فنادق متعددة وتحت حماية حراسة شخصية، وبعضهم إضطر إلى الهروب من البلاد نهائيا مثل شخصية صالح كبير "[4].

ولقد أصبح المبدأ الأساسي للمواطن الجزائري، السعي الدائم للحفاظ على حياته المهددة بالموت المفاجئ والمباغت من طرف الجماعات المتطرفة ، كما وجد نفسه أمام إنهيار منظومة القيم الإنسانية النبيلة ، كالحب والتعاون والثقة والصدق والشعور بالآخر لتحل محلها منظومة القيم البذيئة كالكره والبغض والحقد وموت الإنسانية .

وتعتبر رواية " دم الغزال " للروائي الجزائري " مرزاق بقطاش" أحسن مثال وصورة لتجسيد بشاعة الأعمال الإرهابية ووحشيتها التي وصلت إلى حد المساس بقبور الشهداء ونبشها ، وتدنيس أضرحة الأولياء ، وحرق الصوامع"[5].

---

[1] المرجع السابق، ص ن .
[2] المرجع نفسه، ص 82.
[3] م ن، ص 83.
[4] م ن، ص 84 .
[5] المرجع السابق ، ص 88 .

كثرت وتعددت المتون الروائية الجزائرية التي حاولت تسليط الضوء عن مدى بشاعة ووحشية الأعمال الإجرامية ، المرتكبة في حق الشعب الجزائري من طرف المتطرفين، " فقد وصلت العنجهية وعماء البصيرة بهؤلاء إلى حد لا يثير قتل إنسان في نفوسهم أي نوع من الآسى أو تأنيب الضمير ، فليس هناك إلا القسوة واللامبالاة أمام موت الجزائري "[1]، كما حاولت تسليط الضوء أيضا على قسوة قلوبهم وتحجرها وافتقادهم لمشاعر الرحمة والشفقة ، بحيث تصل درجة وحشيتهم إلى " قتل الطفل الرضيع ، وبقر بطن المرأة الحامل دون أدنى إحساس بالخجل ، ومن أكثر الأدلة على وحشيتهم وتبلد الإحساس لديهم ، أن لهم سياسة وإستراتيجية في القتل ذبحا بالسكين"[2].

وتعتبر رواية " مرايا متشظية " للروائي الجزائري " عبد المالك مرتاض " أحسن صورة ونموذج جسد بشاعة ووحشية أعمال هذه الجماعات المتطرفة ، " إذ تعرض لاستمتاعهم بمشهد سفك الدماء ، خصوصا إذا كان دم الأطفال الرضع "[3]. وكانت طريقتهم المثلى في القتل باستخدام السلاح الأبيض من سكاكين وخناجر أكلها الصدأ " لأنه كلما كان القتل يتسم بالوحشية والفظاعة ، يزيد الأجر والثواب عند الله ، وكأن الإنسان أصبح قربانا وأضحية يقترب بها إلى خالقه "[4].

أما النص الروائي الثاني الذي عرض للعنف الوحشي والهمجي فتمثل في رواية " الورم " للروائي " محمد ساري"، من خلال " شخصية المتطرف يزيد الحرش باعتماده إستراتيجيةالذبح بالسكين كالنعاج في حق ضحاياه لأن الرصاصة حسب رأيه أغلى من روح الإنسان لديه"[5]

كما عرضت النصوص الروائية الجزائرية ، لقضية الإغتيالاتالوحشية والفظيعة في حق الأجانب ، فلقد كانت الجزائر قبلة العديد منهم ، باعتبارها بلدا سياحيا بطلته الباهرة

---

[1]سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 24 .
[2]سعاد العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 41 .
[3]المرجع نفسه ، ص 42.
[4]م ن ، ص 104.
[5]المرجع السابق، ص 41.

والجميلة التي تأسر القلوب قبل العيون ومدنها الأثرية التي بقيت صامدة عبر التاريخ لتكون شاهدة على العديد من الحضارات : الحضارة الرومانية واليونانية والإسبانية ...

وتعتبر رواية " حارسة الظلال دون كيشوت في الجزائر " للروائي الجزائري "واسيني الأعرج " أحسن صورة ونموذج جسد هذه القضية ، بحيث " بنيت أحداثها على الشخصية دون كيشوت الزائر الأجنبي الإسباني ، الذي قدم من أجل عمل كتاب عن جده دي سير فانتس ، وتسجيل الأماكن التي عبر بها ومر من خلالها ، فاتهم بأنه جاسوس وعميل ووجوده في الجزائر يهدد الأمن الداخلي للبلد ، فبالتالي تلقيه العديد من الإنذارات ، لإجباره على الرحيل ، فيصف هذا الأخير نظرة الأسبان إلى فكرة السفر إلى الجزائر بأنها مغامرة جنونية ورحلة إلى الموت المحتوم "[1].

فجزائر العزة والكرامة في الستينات ، أصبحت في التسعينات جزائر التقتيل والذبح الفردي والجماعي والإبادة الكلية لعوائل بأكملها راح ضحيتها آلاف المواطنين الجزائريين تحت راية همجية ووحشية هؤلاء الطغاة الذين عاثوا في البلاد فسادا وخرابا ، " كما أصبحت في وضع لا تحسد عليه من الإنغلاق على الذات ، وعدم التواصل مع العالم بصورة من أسوء الصور ما دامت حيزا للموت والرعب "[2].

2) العنف ضد المرأة :

*** تمهيد :**

تعتبر المرأة أساس المجتمع وعماده ، وهي بمثابة النواة الأساسية ، لبناء خلية الأسرة خاصة والمجتمع عامة ، فإذا صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع معها .

---

[1] المرجع نفسه، ص 74 .
[2] م ن، ص 75 .

فالمرأة الجزائرية عرفت بنضالها وصمودها أثناء الثورة التحريرية ، فلقد لعبت دورا هاما وبارزا إلى جانب الرجل فكانت بمثابة السند القوي الذي يتكئ عليه في أشد المحن والمصاعب التي واجهته خاصة والبلاد عامة فحملت إلى جانبه السلاح للدفاع عن حق وطنها المغتصب من طرف الإستعمار الفرنسي الذي حاول القضاء على الهوية الجزائرية وطمس أهم معالمها من دين ولغة وتاريخ .

فيأتي التاريخ ليكون شاهدا على بطولاتها وإنجازاتها العظيمة وكفاحها الذي دام سبع سنين .

فالإستقلال كان نتيجة تضافر جهود تعبها وشقائها إلى جانب أبناء الشعب الجزائري.

أثناء فترة العشرية السوداء لتسعينيات القرن الماضي ، " غرقت البلاد في دوامة العنف ، وبرزت مظاهر الخراب والدمار على المستويين المادي والنفسي ، ولم يعد للفرد الجزائري أي مستقبل أو أمل إلا إنتظار دوره للموت المحتوم "[1].

فالمرأة الجزائرية باعتبارها فردا من الشعب عانت هي الأخرى ضحية هذه الدوامة الجهنمية التي شهدتها البلاد ، حيث سلط عليها أقصى وأشد أشكال التعذيب والقتل والقهر والتنكيل ، فهي في نظر هؤلاء المتطرفين المتشددين ، ليست " سوى جارية لهم ، تقدم الطعام والمتعة مع التغييب الكامل لعقلها ، فإن حاولت إثبات وجودها والخروج إلى العمل لتدلي بدلوها وتؤدي رسالتها في الحياة سوف تواجه سهام الموت في طريقها ، والبنادق تترصد لها دربها "[2].

وتعتبر رواية " وادي الظلام " للروائي الجزائري " عبد المالك مرتاض" أحسن مثال وصورة جسدت النظرة الإحتقارية والدونية للمرأة وواقع العنف الهمجي والوحشي الممارس في حقها من خلال شخصية " رحمة ابنة شيخ قبيلة بني سعدون التي قتل زوجها وشرد أبناؤها وأصبحت سبية من السبايا اللاتي يحتفظ بهن الإرهابيون فيشتغلن بالخدمة

[1] سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 23.
[2] سعاد العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 70.

لديهم في الطهي ومتعلقات المعاشة بينما يحولوهن في المساء إلى جارية في الفراش ، يتناوب عليها الواحد تلو الواحد ، عندما تحمل فإنها لا تعرف أبا لطفلها "[1].

أ) المرأة المثقفة المعنفة :

إن الدور المنوط بالمرأة الجزائرية المثقفة في نشر الوعي والتقصي الدائم للحقيقة ، والدفاع عن حقوق الشعب ، جعلها تقف موقف التنديد والمعارضة والرفض، لما آلت إليه الجزائر من خراب ودمار ، مس جميع بناها من ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية ، وتدهور المستوى المعيشي للفرد الجزائري الذي عانى الأمرين :

تقتيل وذبح وتعذيب سلط عليه من طرف الجماعات الإرهابية المتطرفة ، وانتشار الآفات الإجتماعية من سرقة وبطالة وجوع وحرمان وبؤس ، فمعظم الأحياء الجزائرية تفتقد لأبسط وأدنى سبل الحياة .

لقد كان دفاعها بالدرجة الأولى عن قضية المرأة التي عانت الأمرين : " عيشها تحت سطوة مجتمعات عربية تقليدية ووسط مد قوي للتيارات الإسلامية المتشددة "[2] ، ولهذا نجدها دائمة السعي لتخليصها من القيود التي كبلت حريتها محاولة القضاء على كينونتها ومعنى وجودها كأم وكإنسان منتج له حقوق كباقي البشر .

إن مكانة المرأة المثقفة ودورها في نشر التوعية بين مختلف الشرائح الإجتماعية ، جعلها بالدرجة الأولى ضحية للأعمال الإجرامية التي مست الشعب الجزائري في تسعينيات

القرن الماضي ، فلقد مورس وسلط عليها أبشع وأفضع أساليب القتل والذبح والتعذيب والتنكيل بحيث ، " مست نساء مناضلات في جمعيات نسائية ، أو صحافيات أو مثقفات يحملن رأيا مناقضا لهم ، أو فنانات لتصنيفهم لعملهن في خانة الحرام"[3] ، فهن في نظرهم مجرد فاسقات وعاهرات ، " فصدرت فتاوى شديدة ضد كل إمرأة تواجدت في هذه

---

[1] المرجع نفسه، ص 71.
[2] م ن ، ص 70 .
[3] نفسية الأحرش، كتابات إمرأة عايشت الأزمة ، ص 71.

المناصب ، فاعتبرت ملحدة تحق فيها كل الأوصاف المسيئة للإسلام "[1]، فاستحقت الموت المحتوم.

ب) ظاهرة الإغتصاب :

لقد تفشت ظاهرة إغتصاب المرأة بصورة رهيبة ومخيفة في الجزائر خلال فترة العشرية السوداء ، من طرف الجماعات الدينية المتطرفة ، فكان لهذه الظاهرة الشنيعة آثار نفسية وخيمة عانت منها المغتصبة ، فحالتها النفسية المتأزمة والمتدهورة ناتجة أولا عن فقدان شرفها وثانيا عن النظرة الدونية والإحتقاريةمن طرف الأسرة والمجتمع ، مع العلم أنها ليست مذنبة بل ضحية من ضحايا الإرهاب ، فلهذا نجد بعضهن وضعن حدا لحياتهن ، والبعض الآخر اعتزلن المجتمع نهائيا خوفا من العار .

لقد كانت معظم حالات اغتيال واغتصاب الفتيات ناتجة عن أمور جوهرية وأساسية متعلقة بالمتطرفين ومن بينها العداوة الشديدة للسلطة ورجالها السياسيين ، " فلقد كانت المرأة تقتل كسبية حرب بعد النيل من شرفها ، أو كفرد من أسرة الطاغوت مثلما يسمون الرافضين لأفكارهم أو المسؤولين في البلاد ، أو كإنتقام من أهل الفتاة الذين كانوا قد صنفوا هذا المسلح في يوم ما كمجرم "[2].

وتعتبر رواية " متاهات ليل الفتنة " للروائي الجزائري " عياشي احميدة " أحسن مثال ونموذج جسد موقف إنتقام إرهابي من أسرة محبوبته ، " الذي تقدم لها فوجد الرفض، لأن أباها الشرطي رآه جاهلا وفقيرا فأتى على نفسه الإنتقام من الأب وجميع من اعترض سبيل هذا الزواج ، حتى الجارة التي حذرت المحبوبة منه ، فكلهم جريرتهم واحدة "[3].

كما يرجع سبب إغتصاب العديد من الفتيات من طرف الجماعات الإسلاموية المتطرفة لعدم إنصياعهن لرغباتها وأوامرها فيما يتعلق " بزواج المتعة أو الإغتصاب ، فقد عذبن وقطعت أطرافهن وأرسلن إلى أهاليهن أو وجدن متعفنات في مغارات مهملة ... كل

---

[1] المرجع نفسه ، ص 70 .
[2] م ن، ص 72.
[3] سعاد العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 35 .

هذا إرتكب باسم الإسلام ، وقد جاء كثير من هذه الشهادات في اعترافات المسلحين المقبوض عليهم ، أو الذين إرتدوا في مفهومهم "[1].

إن موجة العنف التي اجتاحت الجزائر في تسعينيات القرن الماضي أدت إلى خراب ودمار شمل جميع المستويات من ثقافية وسياسية واجتماعية وبالتالي تدنى المستوى المعيشي للمواطن الجزائري ، وإلى جانب كل المآسي ، عانى كثيرا من ويلات الإرهاب الذي سلط عليه أقصى أشكال العنف من قتل وتعذيب وقهر ، فأصبح الموت مصيره المحتوم دون أي تمييز بين الشرائح الإجتماعية المختلفة ، كما لم تسلم المرأة الجزائرية كباقي أفراد هذا الشعب من وحشية وغطرسة هذا الظالم الذي حاول القضاء على كينونتها ومعنى وجودها بأبشع طريقة عن طريق النيل من شرفها وكرامتها .

[1]نفسية الأحرش ، كتابات إمرأة عايشت الأزمة ، ص 72 .

الفصل الثاني

المثقف و العنف في رواية
" وطن من زجاج "

ملخص الرواية

تبدأ أحداث الرواية بحادثة إغتيال رشيد ضابط الشرطة الذي عرف بإيمانه العظيم وإخلاصه الكبير للواجب الوطني ، كان مستعدا دائما لتلبية نداء الدفاع عن الوطن والتضحية من أجله في أصعب المحن والأزمات ، فلقد كان إنسانا بسيطا مفعما بالحيوية والنشاط محبا للخير ، يسهر دائما لتوفير الأمن والإستقرار للناس دون إنتظار الشكر والعرفان على واجب تحتمه عليه قناعته الذاتية وإيمانه بالقضية الوطنية .

كان يرتاد المقهى التي يرتادها الراوي وعمي العربي بحيث جمعت بينهم علاقة صداقة توطدت أواصرها مع مرور الوقت ، لقد كان حلمه حلما بسيطا ألا وهو الزواج مع حبيبته والعيش في كنف أسرة يسودها الحب والتعاون والسكينة والطمأنينة ، لكن هذا الأخير رحل دون تحقيق حلمه كرحيل العديد من أبناء الواجب الوطني بعد أن طالتهم أيدي القتلة والمجرمين ، فاغتالتهم واغتالت كل أحلامهم البسيطة والعفوية .

لكن البداية الحقيقية للرواية بدأت مع شخصية عمي العربي المجاهد والمناضل والفدائي الذي عرف بشجاعته الكبيرة وإصراره الدائم على تصفية العملاء والخونة إبان الثورة التحريرية الكبرى ، والسعي دائما لاستئصالهم من جذورهم نهائيا ، فلقد جمعت بينه وبين الراوي علاقة صداقة متينة أثناء تبادل أطراف الحديث في المقهى .

فقد كان عمي العربي يسرد على راوي حكاية أمس ، حكاية نضال شعب وكفاحه المرير الذي دام سبع سنين عانى فيها ويلات الإستعمار الفرنسي الذي سلط في حقه أقصى وأبشع أشكال التعذيب والقتل والتنكيل والمجازر والإبادات الجماعية دون تمييز بين مختلف شرائحه الإجتماعية ، فلقد كانت نهاية العديد من هؤلاء الخونة على يد عمي العربي دون أي إحساس بالشفقة والرحمة وتأنيب الضمير تجاههم ، فجزاء كل خائن متآمر ضد وطنه الموت المحتوم ، فرغم إنجازاته وبطولاته العظيمة نحو هذا الوطن عانى كثيرا من اللامبالاة والهامشية لدوره الشجاع والفذ دون أي تقدير أو اهتمام ، وعانى أكثر من نفسية متأزمة

ومتدهورة جراء بتر ساقه وشلل نصف ذراعه في آخر مواجهة جمعت بينه وبين عميل عرف بخطورته الكبيرة على الثورة التحريرية ، فأوكلت الجبهة إليه أمر تصفيته والقضاء عليه لكن هذه المواجهة كللت بالفشل .

ثم تعرض الرواية بالتفصيل للسيرة الذاتية للراوي (بطل الرواية) الذي كانت حياته مشؤومة ومنحوسة ، عانى كثيرا من فقدان الحنان والعطف الأبوي ، فماتت أمه وهي تضعه للحياة ويتملص والده من مسؤوليته نحوه ، فلقد كان يكن له الحقد والضغينة ويعتبره سببا في فقدان زوجته ، إلى أن قرر الهروب من القرية دون رجعة فكفله جده الإقطاعي الذي عرف بغطرسته في استغلال طبقة الناس البسطاء من فلاحين وفقراء وعمال معوزين يعملون بكد وإجتهاد من أجل كسب لقمة عيشهم دون أي إهتمام بتدني مستوى معيشتهم ومعاناتهم من الجهل والأمية .

ويجد الراوي أخيرا الحنان والعطف الذي حرم منه في حضن وكنف عمته المشلولة والكسيحة التي عانت من هذا المرض جراء حمى أصابتها وهي في السابعة من العمر ، فكانت بمثابة أمه الحقيقية بعطفها وحنانها وشفقتها عليه .

فعندما بلغ العاشرة من العمر بدأت تتبلور أمامه ملامح وأبعاد القرية المعزولة بتفاصيلها ومدرستها الوحيدة التي إلتحق بها لكسب العلم والمعرفة فارتبط ارتباطا وثيقا وشديدا بالمعلم وعائلته التي كانت بمثابة العائلة الحقيقية التي حرم منها .

فجمعت بينه وبين ابنيه علاقة صداقة حميمية جدا .

لقد كان البطل يعتبر نفسه نذير شؤم ونحس ونكد منذ صغره ، فكل من جمعته به علاقة قرابة من قريب أو بعيد لقي حتفه فكان هذا مصير العديد من أطفال القرية الذين ماتوا غرقا في الوادي بعد ذهابهم برفقة الراوي للمرح واللعب واللهو ، فبتعاقب هذه الأحداث المأساوية

على أهل القرية أطلقوا عليه اسم " لاكامورا "أي نذير شؤم ونحس ونكد ، فهي لعنة أبدية تحل أينما حل.

ثم إضطر المعلم للرحيل هو وعائلته بعد إقصائه نهائيا من وظيفته جراء مواقفه وأرائه التهكمية من إنجازات رئيس بلدية القرية وجد الراوي اللذين عاثا في القرية فسادا وخرابا بحيث تدنى المستوى التعليمي فيها بافتقارها لأبسط الوسائل التعليمية .

فكون المعلم إنسانا نزيها وشريفا ملتزما بواجبه في نشر التوعية والتقصي الدائم للحقيقة وإسقاط الأقنعة المزيفة عن الممارسات اللامشروعة واللاقانونية لرئيس البلدية وجد الراوي كانت نهايته مأساوية كنهاية كل معارض ومندد بالفساد والظلم والتعسف والإحتقار، فواجب إعالة عائلته وسد حاجياتها اليومية حتم عليه البحث عن عمل في متجر ثم عمل كحمال بائس في الميناء ليمرض جراء إنكساره وخيبات أمله دون أي ذنب يذكر سوى كونه إنسانا عرف بإخلاصه ومبادئه الإنسانية النبيلة ، ثم وافته المنية بعد مرض طويل أرداه طريح الفراش، فتحملت الزوجة مسؤولية العائلة باشتغالها فى الخياطة لكسب قوتها وقوت ابنائها.

تتالت الأحزان والمآسي على حياة الراوي الذي لم تدق السعادة بابه منذ أن كان طفلا صغيرا فماتت عمته المشلولة والكسيحة التي كانت تحن وتعطف عليه دائما معوضة فقدان أمه الحقيقية التي لم يتعرف عليها أبدا . لقد ماتت حاملة إنكسارها اليومي وخيبات أملها من الدنيا التي لم تحصل منها إلا على الأسى والحزن واليأس والإحباط ، فماتت ولم تحقق حلمها البسيط في إنشاء عائلة وإنجاب أولاد من الرجل الوحيد الذي تقدم لطلب يدها للمرة الثانية إلا أن والدها قابل الطلب بالرفض القطعي متهما عامل الإسطبل بالسرقة ففر هاربا خوفا من السجن بتهمة لم يرتكبها . ومع كثرة الإشاعات والحديث في القرية حول أسباب موت العمة الغامض ، أصيب الجد بانهيار عصبي أرداه طريح الفراش لمدة طويلة فاستغل رئيس البلدية الفرصة ليشتري كل الأراضي الزراعية التي كان يملكها جد الراوي وتصل درجة استغلاله ودناءته إلى شراء البيت الذي يسكنه الراوي .

لقد أصبحت نفسية الراوي متأزمة ومتدهورة إلى درجة كبيرة جدا جراء فقدان أحبائه المقربين وحتى السكن الذي يقيه حر الصيف وبرد الشتاء .

فقرر هذا الأخير التفوق على نفسه بعد جهد دراسي شاق ومضن كلل بالنجاح فالتحق بكلية العلوم السياسية ليعمل بعد تخرجه في مجال الصحافة وبمرور الوقت وتعاقب الأحداث تشاء الأقدار أن يقع نظره على اسم نذير صديق طفولته الذي أصبح رئيس تحرير لصحيفة يومية مستقلة ظهرت حديثا ، فيقرر الراوي الذهاب لمقابلته كلل هذا اللقاء بفرح وسرور من كلا الطرفين بعد غياب دام سنين يستعيد كل منهما ذكريات الطفولة والبراءة التي جمعتهما في القرية ، ذكريات لا تنتسى ، فبعودة هذه الذكريات تعود معها ذكرى حبه الطفولي لابنة المعلم (شقيقة النذير) حب أصبح حبا كبيرا وحقيقيا بمرور السنين ، ثم يكتشف خبر خطوبة من أحبها لرجل آخر وهو ضابط شرطة متعجرف .وقع هذا الخبر عليه كالصاعقة ! خبر قضى على حلم وحيد كان يرنو إلى تحقيقه وهو كسب حب الطبيبة والزواج منها.

بمرور الأحداث وتعاقبها يصاب النذير بعيارنارى أثناء تسلله من بيته بعد أن قضى الليلة بأكملها مع أمه وأخته اللتين حرم من رؤيتهما مدة طويلة جراء الإغتيالات التي تحصد الآلاف من أصحاب الصحافة وكل من يقف موقف المعارض والمندد بمفكر المتطرف .

يظل النذير طريح الفراش في المستشفى مدة عشرين يوما في العناية المشددة ليموت بعدها ، فيصاب الراوي بالضياع والشتات والإحباط واليأس جراء مقتل صديقه الوحيد ، الصديق الذي تقاسم معه الحلو والمر منذ طفولته حتى بعد عملهما في نفس الصحيفة اليومية المستقلة التي أنشئت تحت اسم " مدى الجزائر" ، إضافة إلى تلقيه خبر مقتل صديقه المصور كريمو الذي أغتيل من طرف جماعة إرهابية مسلحة . فبفقدان الراوي لأعز أصدقائه وأصحابه زاده ذلك إنكسارا وإحباطا وشتاتا وضياعا في وطن قضى عليه القتلة المجرمون ألا أن أمله يظل قائما وكبيرا للظفر بحب ابنة المعلم (شقيقة النذير) ، حب يمكنه من الاستمرار والإصرار على البقاء في وطن ليس كباقي الأوطان ، وطن تنتهك فيه حقوق الناس وحرماتهم ! ،

وطن تسرق فيه أحلامهم البسيطة كالعيش في طمأنينة وإستقرار وأمن وسكينة ! ، وطن الموت اليومي الذي تحصد فيه رقاب أبنائه دون أي ذنب يذكر سوى كونهم جزائريين !، وطن تغتال فيه كلمة الحق ! وطن رغم عبثيته وجد فيه حبا حقيقيا !.

*** تمهيد :**

إن رواية " وطن من زجاج " للروائية الجزائرية ياسمينة صالح هي رواية مأساة وطنية ألمت بالشعب الجزائري مدة عشر سنوات ، عانى منها ويلات العنف والإرهاب الذي سلط أقصى أشكال القتل والذبح والقهر والتنكيل في حق الشعب الجزائري الأعزل البريء، والذي لا يملك سوى لحظة انتظار الموت المتربص به من كل جهة وفي كل دقيقة

رواية استطاعت من خلالها الروائية ياسمينة صالح النفاذ إلى أعماق نفسية المواطن الجزائري ، ورصدها للفوضى التي يعاني منها ، بحيث اختلطت عليه المفاهيم كإختلاط مشاعره وأحاسيسه التي سيطر عليها الإحباط والقنوط والألم الشديد والحسرة .

فالمواطن الجزائري في تلك الفترة عاش عدة إنكسارات توالت الواحدة بعد الأخرى، أولها : إحساسه بالغربة وعدم انتمائه للوطن الذي عاش فيه منذ ولادته فصار هذا الأخير لا يحتويه، فما أشد وطأة هذا الشعور على نفسيته ! وثانيا : فقدانه للعديد من أحبائه وأصدقائه، فكم من أم سالت دموعها حزنا وألما وأسى لفقدان ابنها الذي أغتيل دون أي ذنب يذكر سوى كونه جزائريا فالفجيعة تكمن في معرفة هوية مغتاله ليكون أخيرا جزائريا مثله!.

كما عمدت الروائية ياسمينة صالح لوصف بشاعة وفظاعة الأعمال الإجرامية المرتكبة في حق الشعب الجزائري من طرف الجماعات الإرهابية المتطرفة ، تفجيرات يومية ومجازر بالجملة ومذابح جماعية في حق العديد من المدن والقرى الجزائرية التي كان سكانها من عامة الناس : بسطاء وفقراء ومعوزين لا حول لهم ولا قوة ، فلم يسلم من وحشيتهم وبطشهم وغطرستهم لا طفل ولا رجل ولا امرأة ولا شيخ .

وكأن هذا الإرهاب الهمجي متعطش لسفك الدماء منذ سنين ! فقتل دون رحمة ولا شفقة ولا تأنيب الضمير .

كما أصبح المواطن الجزائري يعيش حالة خوف هستيري أمام كل هذه الأحداث المروعة والمأساوية التي يستيقظ يوميا على وقائعها ، كما أصبحت فرصته ضئيلة جدا للنجاة من هذا الوحش الهمجي المفترس .

فرصاصهم الغادر يطل كل حامل للهوية الجزائرية دون تمييز أو تفريق بين مختلف الشرائح الإجتماعية .

فأحداث ووقائع هذه الرواية بمثابة مرآة عاكسة للمحنة التي عصفت بالجزائر في بداية تسعينيات القرن الماضي ، فعمدت الروائية إلى رصد حيثيات وتفاصيل هذه الأزمة بجزيئاتها ، ففي كل كلمة وعبارة دلالة موحية بالألم والإحباط واليأس والقنوط من الواقع الراهن ومن الحالة التي آلت إليها الجزائر .

فالقارئ لهذا المتن يعيش لحظة خوف ورعب وذعر تسيطر على نفسيته بمجرد دخوله عوالم الرواية ليكتشف مدى ألم وفجيعة هذا الشعب الذي كان ضحية مصالح ذاتية لرجال السياسة والجماعات الدينية المتطرفة لصراعها على السلطة .

كما تتعالى صرخات ونواح العديد من النساء الجزائريات بكاء وحزنا وحسرة على أحبائهن الذين لقوا حتفهم على يد هذه الجماعات المتطرفة دون رحمة ولا شفقة .

كما تعتبر أيضا هذه الرواية تأريخا حيا لمحنة النخبة المثقفة الجزائرية في فترة العشرية السوداء ، فلقد عانت كثيرا ويلات العنف والإرهاب الهمجي الذي سلط أقصى أشكال القتل والذبح والتعذيب في حقها ، كما عبرت أيضا عن إنشغالاتها وهمومها ومشاكلها بدرجات متفاوتة ، فجزائر التسعينيات هي جزائر الدم والموت اليومي الذي يحصد الآلاف من أبرياء هذا الشعب حاملين على أكتافهم ذنب كونهم جزائريين .

كما عمدت الروائية إلى تسليط الضوء على مختلف أنواع العنف الذي مورس في حق الشخصيات الروائية ، من بينه : العنف الإجتماعي (الإقصاء) الذي عانت منه كثيرا شخصية معلم القرية وشخصية عمي العربي .

ثانيا : العنف المعنوي والنفسي الذي عانت منه شخصية الراوي (بطل الرواية) وشخصية العمة .

وثالثا : العنف الجسدي المتمثل في الإغتيال الذي مورس في حق ضابط الشرطة المدعو رشيد ، والصحفي نذير (ابن معلم القرية) والصحفي المصور كريمو (صاحبي الراوي).

فالآثار الناجمة عن هذه الأنواع المختلفة للعنف المسلط في حق الشخصيات ، تختلف من نوع إلى آخر ، إلا أنها تلتقي في نقطة واحدة في النهاية ، وهي انتهاك حقوق الإنسانية في أبشع صور .

1) العنف الإجتماعي :

هذا النوع من العنف يخص الناحية الإجتماعية للإنسان ، فنجده يرتبط ارتباطا وثيقا بحياته، كتعرضه للإحتقار والظلم والتعسف والإكراه والقهر إزاء حقوقه المشروعة، كحقه في العمل والمأوى وحتى في أبسط حق له ألا وهو حقه في الحلم والأمل .

فهذا النوع من العنف مورس في حق معلم القرية (الإقصاء) الذي وجد نفسه معاقبا بجريمة ليست كباقي الجرائم ألا وهي تمسكه بمبادئه الإنسانية النبيلة وعدم خضوعه للمصالح الذاتية التي طغت على أهل القرية .

كما عانت منه أيضا الشخصية الثورية (عمي العربي) الذي عرف ببطولاته وإنجازاته العظيمة في مسار الثورة ، ليجد نفسه أخيرا مهمشا دون أي أهمية تذكر .

أ) شخصية معلم القرية :

معلم القرية هو نموذج المثقف الإيجابي الملتزم بأداء واجبه المنوط بنشر التوعية والتقصي الدائم للحقيقة وإدراك الأمور على حقيقتها .

فهو إنسان يتصف بالجرأة والإقتناع لذا نجده دائم التنديد والمعارضة والرفض للأوضاع المزرية التي تعاني منها القرية، بافتقارها لأبسط سبل التعليم ، لقد كان إيمانه

عظيما وقناعته كبيرة بالدفاع عن القيم الإنسانية النبيلة التي آمن بها منذ نعومة أظافره ، " فمبدأه تجسد في اليقين الذي رأى فيه علما باقيا "[1] ، فكونه إنسانا مرشدا ومصلحا سعى دائما لإحداث تغيير ما وإعلانه الثورة على الأوضاع السائدة في القرية ، فهو المندد بالإستغلال الفظيع والإستلاب الوحشي الذي تعاني منه الطبقة الكادحة من فلاحين بسطاء وعمال فقراء ، لكن هذا الأخير تعرض لمآمرة شنيعة وفظيعة نسج خيوطها الحاج عبد الله (جد الراوي) ورئيس البلدية اللذان تجمع بينهما مصلحة مشتركة فكل واحد منهما يخدم الآخر ، يقول رئيس البلدية : " اسمع يا الحاج عبد الله ، المعلم شخص وغد سنعرف كيف نضعه في مكانه لا تشغل نفسك لهذا الأمر التافه ! "[2] ، فتهديده لمصالحهما عن طريق آرائه ومواقفه التهكمية والساخرة ، بدت جلية منذ " وقوف المدير أمام رئيس البلدية الذي جاء في زيارة إلى المدرسة بمناسبة إنتهاء العام ، فألقى خطبة " الوداع " على مسمع أولئك الذين جاءوا ليتباهوا لنجاح أبنائهم ، يومها تكلم المدير عن الإنجازات الكبيرة التي حققها رئيس البلدية للمدرسة ولأطفال القرية ... فضحك المعلم ، وبدت السخرية جلية على ضحكته التي كانت مهينة ومقصود بها " الإساءة " "[3].

فعمد هذا الأخير لإسقاط أقنعتهم المزيفة بكشفه حقيقة الواقع الراهن للقرية ، " بانتقاد الوضعية المزرية التي تعيشها المدرسة . انتقد غياب أبسط الوسائل التعليمية وغياب الحافز للدراسة أساسا ! كلمته أثارت أعصاب الجميع بمن فيهم المدير الذي ظل شاحبا قريبا من الإغماء " [4].

فكان هذا آخر موقف تنديد ومعارضة ورفض للمعلم الذي ، " جاءته برقية من وزارة التربية تطلب منه العودة إلى العاصمة ، وكان مع البرقية قرار إيقافه عن العمل ابتداء من التاريخ الذي صادف العطلة الصيفية "[5] ، فبعد الإضطهاد العنيف الذي سلط على

---

[1] ياسمينة صالح ، وطن من زجاج، منشورات الإختلاف ، الجزائر،ط1، 2006 ، ص36 .
[2] المرجع نفسه ، ص 40 .
[3] م ن ،ص ن.
[4] م ن، ص ن .
[5] م ن ، ص 39-40 .

المعلم وأسرته بحرمانه وإقصائه نهائيا من وظيفته وجد نفسه بلا عمل ولا مأوى يقيه حر الصيف وبرد الشتاء ، كما تدهورت حالته النفسية جراء هذه الإنكسارات والخيبات التي ألمت به لكونه إنسانا عرف بالطيبة وسمو الأخلاق وعطفه الدائم على اليتامى والمحتاجين والمساكين الذين لا حول لهم ولا قوة للدفاع عن أنفسهم أمام سيطرة وسطوة الطبقة الغنية ، وليجد نفسه في الأخير ، " أمام أسرة يتوجب عليه إطعام أفواه أفرادها "[1] ، فحاجته الحتمية لإعالة أسرته بسد حاجياتها ، جعلت منه يشتغل عدة وظائف ، " فأصبح بائعا في متجر لينتهي به الأمر إلى " حمال " في الميناء"[2].

مرض المعلم فأصبح طريح الفراش لمدة زمنية ليموت أخيرا ، " حاملا حزنه وانكساره الكبير ، مات تاركا عائلة مصدومة بذلك الرحيل المفاجئ"[3].

فهذه هي نهاية كل إنسان كان شعاره ومبدأه الوحيد المطالبة بالحق والعدل والمساواة والدفاع عن القيم الإنسانية النبيلة كالحب والتعاون والصدق والتنديد الشديد بالقيم البذيئة كالكره والحقد والإستغلال ...إلخ .

ب) شخصية عمي العربي :

عمي العربي نموذج المناضل والمجاهد الملتزم إزاء القضية الوطنية ، عرف بالمصداقية وصفاء النية تجاه الجزائر، المغتصبة والمحتلة من طرف الإستعمار الفرنسي الغاشم ، الذي حاول جاهدا القضاء على الهوية الجزائرية وطمس أهم معالمها من دين ولغة وعادات وتاريخ ...إلخ وذلك عن طريق غلق العديد من المساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية مما جعل الجهل يتفشى .

إن هدف الإستعمار من كل هذا هو إبقاء الشعب الجزائري يتخبط في دوامة الجهل والأمية ، لأنه كان على دراية تامة بأن العلم والمعرفة هما مفتاح الوعي لإدراك الأمور

---

[1] المرجع السابق ، ص 62.
[2] المرجع نفسه ، ص ن .
[3] م ن ، ص 62 .

على حقيقتها ، كما إنتهج هذا الأخير عدة سياسات من بينها سياسة الأرض المحروقة ومصادرة العديد من الأراضي الزراعية ، بعد نهب خيراتها وسلبها لمالكيها الأصليين .

فهذه الأرض التي كانت بمثابة مصدر رزق للعديد من العائلات الجزائرية حرقت وخربت ودمرت ولم يبق منها شيء .

فدب في المجتمع الجزائري البؤس والحرمان والفقر المدقع الذي نخر عظام العديد من المواطنين الجزائريين مدة طويلة .

فعمي العربي عينة من بين الآلاف الذين عانوا ويلات الإستعمار ، فأعلن أخيرا ثورته الثائرة ضد الأوضاع المزرية وتدني الحياة المعيشية للمجتمع الجزائري لتصل إلى الحضيض .

كانت مهمته إبان الثورة التحريرية القضاء على العملاء والخونة الذين اختاروا الجبهة الأخرى لأن قرارهم هذا فيه الكثير لبلوغ مصالحهم وتحقيق رغباتهم وأهدافهم الذاتية ، فكانت نهاية العديد منهم على يد عمي العربي دون أي إحساس بالشفقة والرحمة وتأنيب الضمير تجاههم ، فجزاء كل خائن متآمر ضد وطنه الموت المحتوم ، " فقد شكل مجموعة من المساعدين لا يملون ولا يكلون من التربص والتحري ، ليأتي يوم القصاص ، وليجد متعته في قول تلك الجملة التي عاش لقولها : حكمت عليك الجبهة بالموت يا كلب ! ثم يطلق الرصاص من مسدسه ويمضي نحو خائن آخر "[1].

فلقد كان إيمانه عظيما وقناعته كبيرة تجاه الوطن الذي إحتضنه منذ نعومة أظافره . هذا الوطن أسمى شيء في الوجود ، يشعر الإنسان بالإمتنان والشكر والعرفان لأنه ولد وشب فيه وأخيرا يموت ويدفن فيه .

ففي حديثه مع الراوي الذي جمعته علاقة وطيدة به يقول له بصوت يريده مقنعا : " الوطن حقيقة يجب الإيمان بها يا بني ، الوطن ليس رئيس الجمهورية وليس الحكومة وليس

[1] المرجع السابق ، ص 16.

الغيلان السياسيين ولا الجلادين ولا السجانين ولا المنفيين ولا المفقودين ، ولا الخونة ولا الإرهابيين ...الوطن هو ما نتنفسه وما نستشعره ... هو الأعشاب التي نمشي عليها والعصافير التي توقظنا في الصباح ، والمطر الذي يباغتنا عن غير موعد ، والتحايا البسيطة التي لا تستوعب قيمتها إلا متأخرين ! "[1] ، فثبات وإصرار هذا المجاهد الفذ والشجاع على القيام بمهمته الفدائية في تصفية العديد من الخونة والعملاء ، واجب يمليه إنتماؤه لهذا الوطن دون أي مقابل ففي حديثه مع الراوي يقول : " لا تصدق الخونة يا بني ... صدق أولئك الذين أحبوا الوطن ، هؤلاء الذين ماتوا قليلا أو كثيرا ... صدقهم حين يدافعون عنه دونما حاجة إلى تبرير شيء لأحد ، ودون المطالبة بالمقابل من أحد ! "[2].

لكن هذا المجاهد تعرض لإصابة بليغة وخطيرة فبترت ساقه وشلت يده اليسرى جراء آخر مواجهة بينه وبين عميل خائن عرف بخطورته الشديدة فأوكلت الجبهة إليه مهمة تصفيته ، لكن هذه المهمة باءت بالفشل بعد حوار محتدم بينهما : " وبعد انتظار بدا له طويلا ظهر العميل ممسكا مسدسا في يده ... حين لمح العربي إرتبك لكنه لم يهرب ...ظل يحدق فيه قبل أن يقول له أخيرا :

ـ أنت هو " العربي" أليس كذلك ؟.

وكان " العربي " من ارتبك في تلك اللحظة ... توقع سؤالا آخر غير هذا . وحين لم يرد قال العميل :

ـ أنت هو إذن " العربي" الذي وكلته " الجبهة " ليقتل جزائريا مثله !.

غضب " العربي " ورد بانفعال .

ـ أنت لست جزائريا يا كلب ، أنت خائن وقواد !.

---

[1] المرجع السابق ، ص 11.
[2] المرجع نفسه ، ص 12 .

أجاب هذا الأخير :

ـ هل لديك دليل على خيانتي ؟ هل تعرفني ؟ "[1].

أثناء هذه المواجهة إكتشف من الوهلة الأولى أن من بين هؤلاء الذين ادعوا الإخلاص والوفاء للواجب الوطني ظاهريا كان هناك خونة .

لقد عانى عمي العربي الأمرين : أولهما : نهاية مأساوية نجمت عن فقدانه لساقه المبتورة وذراعه اليسرى النصف مشلولة وثانيا : التهميش واللامبالاة بدوره البارز في الثورة التحريرية ، فجزاء خدماته ، " سوت وزارة المجاهدين وضعيته " كمناضل سابق" وأقرت حقه في راتب مستقر عبر حوالة كانت تصله بريديا كل شهرين من وطن يشكره على : الواجب ! "[2].

فالحالة النفسية المتأزمة التي عانى منها المجاهد " العربي " زادته ألما شديدا وتحسرا وإحباطا ، فكل هذه الإنكسارات ارتسمت على ملامح وجهه الكئيب والمتعب ، فلم يبق أمامه سوى ذكريات الماضي تتداعى بين الحين والآخر في ذاكرته فنموذج هذا المجاهد البار الذي يمثل جيل ثورة بأكملها ضحى بالنفس والنفيس من أجل جزائر حرة مستقلة ، يتداعى في كل شبر منها رائحة دماء الشهداء الزكية والطاهرة ، تجعلنا نقف وقفة إجلال واحترام وعرفان لكفاحهم وجهادهم المرير لمدة سبع سنين .

فهذا النموذج الحي لجيل الثورة يجعلنا نقف موقف الحائرين أمام كم هائل من الأسئلة التي تفرض نفسها :

ـ هل كان من العدل والإنصاف أن تكون نهاية هذا المجاهد البار والفذ نهاية مأساوية ؟.

ـ هل من الإنصاف أن يقدم له راتب رمزي جراء خدماته العظيمة تجاه الوطن الذي آمن بقضيته منذ نعومة أظافره ؟.

---

[1] المرجع السابق ،ص 19-20.
[2] المرجع نفسه، ص 22- 23.

هل يستحق هذا المجاهد اللامبالاة والتهميش وعدم الإكتراث من قبل هذا الجيل حين سرد حكايته ؟.

2) العنف المعنوي والنفسي :

هذا النوع من العنف يخص الناحية النفسية للإنسان ، بحيث يكون ضرره وخيما على نفسيته التي يصبح شعورها مضطربا وفي معظم الأحيان يعاني من عقد نفسية خطيرة تصل إلى حد الإنغلاق والإنعزال الكامل عن المجتمع أو حالات قهرية لتأنيب الضمير والذات .

فهذا النوع تجلى بصورة واضحة في شخصية العمة (عمة الراوي) ، التي عانت كثيرا من تسلط وجبروت والدها ، لتكون نهايتها مأساوية إلى حد الشفقة .

كما تجلى أيضا في شخصية الراوي (بطل الرواية) الذي عانى عقدا نفسية عديدة تكونت عنده منذ طفولته إلى أن صار شابا في مقتبل العمر .

أ) القهر النفسي للمرأة :

عمدت الروائية الجزائرية " ياسمينة صالح " في روايتها " وطن من زجاج " إلى تسليط الضوء على نموذج المرأة الجزائرية المضطهدة والمقهورة من خلال شخصية العمة (عمة الراوي)، التي عانت كثيرا من سطوة وسيطرة أبيها الإقطاعي ، بحيث تجسد مبدأه الأساسي في المصلحة الذاتية حتى على حساب أقرب الناس إليه ألا وهي ابنته الكسيحة والمشلولة " جراء إصابتها بحمى شديدة كادت تؤدي بحياتها وهي في السابعة من العمر ، وحين لم تمت شلت "[1].

[1] المرجع السابق ، ص 32.

إن وقع المرض وشدة وطأته على نفسية العمة كان شديدا وعنيفا ، لكونها أصبحت كائنا عاجزا حتى على تلبية أبسط حاجياته اليومية ، ضف إلى ذلك شعورها بالنقص الناجم عن إعاقتها ، مقارنة بباقي الفتيات اللواتي تمتعن بالصحة الكاملة والعافية وعشن أوقات طفولتهن في المرح واللعب والجري في حقول القرية ، والإستمتاع بمشاهد فصل الربيع البهية التي تأسر العيون ، أما هي فحرمت من كل هذا !.

وبمرور السنين صارت إمرأة ناضجة وراشدة يحق لها الزواج وبناء عائلة كباقي فتيات القرية ، إلا أنها حرمت أيضا من هذا الحق من طرف أبيها الذي قابل بالرفض طلب يدها للزواج من عامل الإسطبل ، " الذي عاد ليطلب يدها للمرة الثانية وأن أباها رفضه مقدما ضده شكوى في المخفر بتهمة السرقة "[1]، فهذا ما زادها ألما شديدا وحزنا عميقا وحسرة وأسى ، فقررت الإنطواء والإنعزال عن هذه الحياة التي لم تحصل منها إلا على انكسارات وخيبات كثيرة ، " لهذا صمتت وإنزوت رافضة الكلام والطعام "[2].

فجراء هذا الإنعزال وعدم استجابتها للحياة ساءت حالتها شيئا فشيئا إلى أن وافتها المنية ، " ودونما سابق إنذار ، ماتت العمة "[3] .

فشخصية العمة المقهورة هي بمثابة عينة لآلاف النساء الجزائريات اللواتي إضطهدن من طرف الرجال لكونهم يتمتعون بالحق الكامل في استغلالهن وسلب حقوقهن لكونهن لا حول لهن ولا قوة .

ضف إلى ذلك النظرة الإحتقارية والدونية للمجتمع ، وظلم العادات والتقاليد ، فأصبحت المرأة ينظر إليها بمنظار الشبهة والنقص وجلب الرذيلة والعار .

---

[1] المرجع السابق، ص 43 .
[2] المرجع نفسه ، ص 43 .
[3] م ن، ص ن .

ب)جلد الذات(الراوي):

ترصد هذه الرواية السيرة الذاتية للراوي (بطل الرواية) الذي عرف بتاريخ حياته المشؤومة والمنحوسة من بداية خروجه إلى الحياة إلى أن أصبح شابا في مقتبل العمر يعمل في مجال الصحافة .

لقد عانى كثيرا من فقدان حنان الأم وعطفها ، ذلك الصدر الحنون الذي يفيض بالمشاعر والأحاسيس الصادقة نحو أبنائها حبا لهم وشفقة عليهم ، فتحزن لحزنهم وتفرح لفرحهم ، فأما هو حرم هذا الحنان ، زد على ذلك فقدان حنان أبيه الذي كان يربط موت زوجته بمولده يقول الراوي : " ماتت وهي تضعني للحياة ، كان أبي يشعر بالضغينة نحوي لأنه ربط بين حياتي وبين موت والدتي "[1]، فهكذا يشاء القدر أن يصبح يتيما منذ صغره ، وليكون أول إنكسار وخيبة أمل يتلقاها الراوي ! فكفله جده الإقطاعي الحاج عبد الله ، ليجد أخيرا الحنان والعطف والحب في حضن عمته المشلولة والكسيحة التي عوضته فقدان الأم الحقيقية ، فالأم ليست تلك التي تلد فقط ، بل التي تربي أيضا ، فيقول : " عمتي التي وجدتها حاضرة في غياب أم ماتت وهي تضعني للحياة ...وجدت صدرها وذلك الكرسي المتحرك الذي كان يلازمها ... عمتي التي مع الوقت صارت تناديني " ابني " وصرت أناديها عن لاوعي : أمي ...! " [2]، كما حظي هذا الأخير باهتمام كبير من طرف معلم القرية الذي عرف بمبادئه الإنسانية النبيلة ، خاصة عطفه وشفقته على اليتامى والمغلوبين ، فكان يحثه دائما على العلم والمعرفة وضرورة التفوق ، فيقول له : " التفوق وحده يكفي لأجل التقدم نحو الأمام وليس لأجل التقهقر نحو الخلف !"[3]، فلقد كان الشخص الوحيد الذي ينظر إليه نظرة إشفاق ورحمة وحب وعطف ، أما فيما يخص باقي القرويين كان يطلقون عليه اسم " لا كامورا " ، " تعني ببساطة من لاحق له في الموت براحة ! "[4] ، فهو في

---

[1] المرجع السابق ، ص 31 .
[2] المرجع نفسه ، ص 32 .
[3] م ن، ص 33.
[4] م ن ، ص 37.

نظرهم نذير شؤم ونحس ونكد فأينما حل تحل الكارثة والفجيعة ! ، فكم من طفل قروي لقي حتفه غرقا في النهر دون أي ذنب يذكر ! سوى كونه صاحب الراوي للمرح واللهو عن طريق السباحة في الوادي ، فيقول الراوي : " كنت أستدرج الأطفال للغطس عاريين تماما ... وكنت أسبح بعيدا وأغامر ... كان بعضهم يصرخ خوفا من التيار ، والبعض الآخر ... يجذبه التيار إلى الغرق ! كنت أعي تماما أن الجنية لن تأكلني أنا ، بل تأكل رفاقي الذين كنت أعود بهم إلى أهاليهم ميتين ..."[1].

فبعد الحوادث المأساوية التي ألمت بالعديد من أطفال القرية نجد الراوي يشعر بعقدة تأنيب الضمير تجاههم والتي كانت شدة وطأتها عنيفة وبالغة في نفسيته فيقول : " لماذا لم أكن أغرق ... لماذا لم أكن أموت ؟ كنت أستحق الموت أكثر منهم لأني من كان يستدرجهم إلى الوادي . كانوا يموتون بينما أبقى أنا حيثما أكون ..."[2].

لقد كانت نهاية معظم الأشخاص الذين جمعتهم صلة بالراوي إما من قريب أو بعيد تتأرجح بين الموت والنفي ، ليكون الموت من نصيب العمة المشلولة والكسيحة بعد معاناة كبيرة ، وليكون النفي إلى العاصمة من نصيب المعلم وعائلته الطيبة التي كانت تحن وتشفق على هذا اليتيم ، فلقد جمعت بينه وبين إبني المعلم صداقة طفولة بريئة تعتريها أسمى معاني الحب والبراءة والعفوية .

وتليها موتة الجد بعد مرض طويل أرداه طريح الفراش ، تتالت المآسي والأحزان التي كانت وطأتها على نفسية الراوي عنيفة ، تركت جراحا عميقة لن تندمل آثارها الناجمة إلا بعد مرور سنين ، فجراء الإحباطات وخيبات الأمل المتعددة التي ألمت به قرر أخيرا الرحيل عن هذه القرية تاركا وراءه ماض يعتريه الحزن والأسى واليأس والإحباط ...إلخ .

هروبا من نظرات العتاب واللوم التي يتلقاها من أهل القرية على أنه " لا كامورا " نذير الشؤم والنحس والنكد فبرحيله ترحل معه هذه اللعنة الأبدية .

---

[1] المرجع السابق، ص ن .
[2] المرجع نفسه، ص ن.

فبعد عناء وشقاء كلل تعبه وجهده بالنجاح ، وبالتالي إلتحق بالجامعة .

لقد كان إصراره وعزيمته كبيرين على أن يكون مختلفا عن باقي سكان القرية الذين كانوا يخضعون للإستغلال والإستلاب دون فعل أي شيء يغير من وضعيتهم الراهنة ، فلقد كان على يقين كبير أن بلوغ هدفه هذا لن يحصل إلا عن طريق العلم والمعرفة والوعي بحقيقة الأمور كما هي ، فيقول : " كنت أتفوق انتقاما من نفسي ، ربما لأني كنت أحلم بمغادرة القرية نحو العاصمة ، فكرت أن المدينة تكفي لأتفوق في الدراسة لأجل ألا أكون واحدا من هؤلاء القطيع ....لألا أكون مثل جدي أو رئيس البلدية أو الفلاحين أو البائسين الراضين عن أنفسهم ...."[1].

فبعد جهد دراسي مضن وشاق قرر أخيرا " السفر إلى العاصمة والإلتحاق بكلية العلوم السياسية "[2] .ففر من القرية التي كانت شاهدة على إنكساراته العديدة ، ليجد نفسه في واقع أسوأ من سابقه في العاصمة ، واقع الإغتيالات المفاجئة والمباغتة التي راح ضحيتها الآلاف من أبناء هذا الشعب ، وتفجيرات ناجمة عن السيارات المفخخة كل دقيقة وفي كل لحظة ، واقع مأساوي تقشعر له الأبدان ! وانتشار الفساد بكل أشكاله كالرشوة والبيروقراطية والاختلاس الفظيع لأموال الشعب والدولة دون تأنيب الضمير .

فدون سابق إنذار يجد نفسه في عالم الصحافة ليكون مجالا لتجسيد كلمته ،فيقول : " لم أكن أعلم أن دخولي " الخطأ " إليه يجعلني أرتبط به إلى الأبد ..." [3] ، لقد كان الراوي نموذج الصحافي السلبي المتخاذل الذي يرى أن السعي من أجل التغيير والدعوة إليه لانتشال البلاد من دوامة الخراب والدمار التي مست جميع بناها الثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية جراء الصراع العنيف والهمجي الذي دام عشر سنوات بين الجماعات الإسلاموية المتطرفة ورجال السياسة من أجل السلطة دون وضع في الحسبان حالة الشعب المتدهورة على اختلاف طبقاته ، " الذين يظلون هم الضحية ، هم السجناء ،

[1] المرجع السابق ، ص 45 .
[2] المرجع نفسه ، ص 47 .
[3] م ن، ص 50.

هم المقموعين في مظاهرات عفوية ، هم المتهمين بالخيانة حين يطالبون بالخبز والحرية ..."[1].

فنجد طغيان النظرة التشاؤمية والسوداوية أمام الواقع الراهن لجزائر التسعينيات فيقول : " هل ثمة شيء اسمه الإصلاح في واقع كهذا الواقع ؟ "[2].

كما يقول في موضع آخر : " هل ثمة إنسان سعيد في هذه البلاد سوى فاقدي القلب والذاكرة ؟ "[3] ، فالراوي هو نموذج الصحفي المتخاذل والمحبط واليائس والعاجز عن فعل أي شيء لهذه البلاد التي قضى عليها القتلة والمجرمون رغم كونه في مقتبل العمر يقول : " ثلاثون عاما من الإحباط والفرح الكاذب والإنكسار اليومي قبالة تاريخ لا يقول الحقيقة ، ففي الثلاثين من العمر يصير العمر أشبه بكذبة أبريل ..."[4] ، فكونه صحفيا في واقع كهذا الواقع لا يغير أي شيء كون رموزها تتعرض للإغتيالات المبرمجة عن سابق إصرار من طرف الجماعات الإسلاموية المتطرفة فيقول : " فأن تكون صحفيا هنا معناه أن تعرف أنك مشروع مقتول ... "[5] ، فلقد كانت معظم مقالاته تتعرض للمراقبة الصارمة من طرف المسؤولين فيقول : " وجدتني أكتشف لا جدوى من الصحافة فعلا ... كان رئيس التحرير يلغي ما أكتبه ويذكرني أنني صحفي ولست " شرطيا إجتماعيا " وأن دور الصحفي هو كتابة ما يمكن إيصاله إلى الناس من دون أن يصدمهم ! من دون أن يكسرهم ! "[6].

تستمر حالة الضياع والشتات التي إعترت حياة الراوي من جهة ، وعمله كصحفي مقيد ومراقب من طرف رئيس التحرير من جهة أخرى ، إلى أن شاء القدر ويقع بصره على اسم النذير (ابن المعلم) صديق الطفولة والبراءة بعد أن صار مديرا لإحدى الصحف المستقلة ، فيقول : " أجل كان هو النذير الذي بحثت عنه طويلا ، بطريقة ما،لعلي لم أبحث

---

[1] المرجع السابق، ص 81.
[2] المرجع نفسه،ص ن
[3] م ن، ص 69.
[4] م ن، ص ن .
[5] م ن ، ص 80 .
[6] م ن، ص 57.

عنه بقدر ما كنت أبحث عن تلك السنوات المدهشة التي تقاسم فيها ذاكرتي أو تقاسمت فيها ذاكرته ، ولعلي كنت أبحث بيني وبين نفسي عن تلك الصغيرة التي مرت من هنا تاركة عقدها الصغير في يدي ..." [1]، لقد كان لقاء الراوي بالنذير صاحب طفولته مكللا بالفرح العارم والسرور من كلا الطرفين بعد فراق دام سنين طويلة ، كما كانت فرصة سانحة لإحياء حبه الطفولي لشقيقة النذير التي أصبحت طبيبة، حبه لها صار مع مرور الوقت حبا كبيرا وحقيقيا . لكن هذا الأخير يجد نفسه حائر أمام كم هائل من الأسئلة جراء خوفه وذعره لعدم تعرفها عليه فيقول ، " تمنيت أن أزورها ، من باب الفضول ، لكني خفت شعرت بخوف غريب . تساءلت : ماذا لو أدارت ظهرها لي دون أن تتذكرني ؟ كانت ستقتل أشياء جميلة في داخلي ولهذا تمسكت بالسلوى والفكرة الأولى ..."[2] ، فبمرور الوقت تتوطد صلة الصداقة أكثر بصاحبه النذير الذي أصبح زميلا له في العمل ، لكن الموت لعب دوره في حرمانه من صديقه الوحيد بعد اغتياله بطريقة شنيعة وفظيعة من طرف جماعة إرهابية مسلحة كانت تترصده منذ زمن بالتهديد والوعيد عن طريق إرسالها رسائل مجهولة تلقاها العديد من أبناء الواجب الوطني كالأدباء والمفكرين والمبدعين والصحفيين . فكان إغتيالهم نتيجة حتمية في حقهم كونهم حجر عثرة ضد الفكر المتطرف. فيقول : " حين رفعت السماعة شعرت بالخوف يتسلل إلى مسامات جلدي ويسكن في النخاع حين جاءني الصوت يقول بلا مقدمات

ـ لقد أطلقوا النار على النذير !.

ولم أصدق سمعي ...بقيت مدهوشا قبل أن أنطق أخيرا .

ـ ماذا ؟.

[1] المرجع السابق، ص 58.
[2] المرجع نفسه، ص 65 .

ـ أطلقوا النار على النذير ، نام أمس عند والدته وحين هم بالمغادرة صباحا أطلقوا النار عليه ! " [1]، فلقد كانت فرصة نجاته ضئيلة جدا لكونه موجودا في العناية المشددة لمدة عشرين يوما طريح الفراش ، كأنه جثة هامدة لا أمل في نجاته من الموت المتربص به كل ثانية وفي كل دقيقة .

فبعد لحظات الإنتظار الطويل الذي إستحوذ عليه فقدان الأمل في نجاته وسيطرة الذعر والخوف من فقدانه ، فقدان الصديق الوحيد الذي تشارك معه الحلو والمر حتى بعد عملهما في مجال الصحافة ، وليكون أخيرا وقع خبر وفاته كصاعقة في نفسية الراوي مما زاده ألما وتحسرا وإنكسارا.

في هذه العاصمة الموحشة والمفترسة ، فيقول : " رحل النذير إذن . مات هكذا ... مات لأنه رفض العيش طويلا داخل الهباء اليومي . مات لأجل أن يعيش هؤلاء الخونة الذين ساوموه على حياته وأحلامه وراحة باله . مات دون أن يتزوج ، دون أن يحقق حلم الأبوة كما كان يتمنى في سره . مات بسيطا كالفقراء ، وعاريا كالأولياء الصالحين مات تاركا أما تبكيه بصمت وأختا تنظر إلى الآخرين بحثا عن إجابة لأسئلة الكون. وأخ صغير يشعر باليتم من جديد ! " [2]

فالحالة المأساوية التي تعيشها هذه الأسرة بعد فقدانها الإبن البكر الذي كان بمثابة عمود وأساس تلك الدار معوضا مكانة أبيه المعلم ، عينة من بين آلاف الأسر الجزائرية التي عانت كثيرا من نفس الحالة ، جراء عنف وهمجيته الجماعات الإسلاموية المتطرفة ، التي كانت تستهدف بالدرجة الأولى رجال الفكر والإبداع من صحفيين ومفكرين وأدباء . ولم يسلم من بطشها حتى البسطاء من عامة الناس الذين لا حول لهم ولا قوة ، وأصبح الراوي يقف تائها ومحبطا ويائسا أمام حادثة إغتيال صديق طفولته الوحيد ، الذي كان بمثابة أخ حقيقي ، عرف بوفائه وإخلاصه لعلاقة الصداقة التي نشأت بينهما منذ أيام القرية،

[1] المرجع السابق ، ص 101.
[2] المرجع نفسه ، ص 143 .

لقد عانى الراوي صراعا عنيفا بينه وبين نفسه ، فكان يقف إزاء نفسه موقف القاضي الذي يدين مجرما في جريمة لم يرتكبها ، فيحاول بكل ما أوتي من سلطة ونفوذ لإثبات إدانته ، لقد كان مجحفا لحد كبير في حق نفسه التي عمد إلى إدانتها باستمرار دون رحمة وشفقة ، كأنه يجد لذة ومتعة في تعذيبها كالمزوشية التي تؤمن بمبدأ إنسلاخ الروح عن الجسد تقربا وإيمانا بالله ، فكأنه المسؤول الوحيد عن الخراب والدمار الذي آلت إليه البلاد في تسعينيات القرن الماضي ، والمسؤول أيضا عن كل المجازر والمذابح الجماعية الفظيعة والبشعة المرتكبة في حق أبناء هذا الشعب الأعزل والبريء. وعن كل الاغتيالات المفاجئة والمباغتة التي استهدفت بالدرجة الأولى أصدقائه وأحبائه ، لنجده في موقف آخر مناقض للأول حيث حاول من خلاله إثبات براءته من عدة تهم من بينها تهمة إغتيال صاحبه وصديقه النذير ، فيقول في قرارة نفسه وهو يقصد حبيبته (شقيقة النذير) : " تمنيت أن أمسك من يدك وأقول لك : اسمعي جيدا كفي عن النظر إلي بهذا الشكل.

لست أنا من أطلق النار على أخيك ، ولست أنا من أشعل فتنة الموت في هذا الوطن البائس. لست أنا من حرم الحب ولا أنا من أفتى للموت المجاني ، أنا لا شيء . لست شيئا أنا لست أنا ولا أحد . فكفي عن النظر إلي كما لو كنت تتهمين بقائي جالسا هنا في الوقت الذي يحتضر فيه النذير ! "[1].

فيقول في موضع آخر : " متى تعرفين أنني لست مسؤولا عما يجري ؟ "[2] ، وما زاده أيضا إنكسارا وخيبة أمل نجم عنهما ألم شديد وضياع وشتات حد فقدان انتمائه في وطن لم يعد يحتويه ، وطن عاد من جديد ليحرمه من حبه الوحيد ، حب عفيف وعذري بث في روحه ووجدانه أمل التشبث بالحياة المعرضة دائما للإغتيال الوحشي والهمجي من طرف الجماعات الإسلاموية المتطرفة ، أمل التفاؤل بغد أفضل رغم السوداوية التي لفت البلاد في تسعينيات القرن الماضي .

---

[1] المرجع السابق ، ص 110 .
[2] المرجع نفسه ، ص 111.

حب أبدي فقده إثر معرفته بأن حبيبة عمره مخطوبة لرجل آخر غيره كفقدانه لحب وطن قضى عليه القتلة ، فكانت خيبة فقدانهما معا خيبة كبيرة جدا. لكن ما أضيق العيش لولا فسحة من الأمل ، ليعود الأمل من جديد لاستعادة حبه المكنون والمكبوت حب قدر له أن يكون حبا من طرف واحد ، جراء معرفته بمقتل خطيبها الشرطي ، فلقد شاءت الأقدار أن تجمع بين الراوي العاشق الولهان وحبيبته الطبيبة في واقع طغى عليه الموت المباغت والمفاجئ ، واقع تسرق فيه أحلام الناس دون أي ذنب يذكر سوى كونهم جزائريين! .

فيقول الراوي واصفا لقائهما " وقبل أن أقول شيئا وجدتني أضمها بقوة . وأسمح لها أن تجهش بالبكاء في حضني ...هل كان على الموت أن يكون قاسيا إلى هذا الحد كي يتسنى لي ضمك كما الآن ؟ هل كان على الموت أن يحضر بهذا الضجيج المحاط بالضحايا وبالجثث لأضمك إلى صدري وأترك لبكائك حق البكاء معي ؟ أنا الذي جئتك قبل الآن زاحفا على ركبتي . هل كان على الموت أن يخطف خطيبك كي أقف أمامك هذه الوقفة ..."[1]، فلقد كان لهذا الحب دور هام وكبير في تغيير وجهة نظره التشاؤمية حول وطن سكنه القتلة والمجرمون في تسعينيات القرن الماضي فيقول : " يا امرأة جزائرية مغرورة حد الدهشة .إبك في حضني سيدتي .إبك ما استطعت من الدموع ومن الجراح ، لا أحد يعرف متى تنتهي دموعك . لا أحد يعرف متى تنتهي دموع الوطن ، لكن الوقت يمضي نحو ذلك الغد الذي لم أعد قادرا على الكفر به بعد اليوم . بعد أن غمرتني دموعك وغسلت صدري حد القداسة ...وألا أكتب افتتاحيتي هذا المساء لأجل أن ينتصر الحب على سوداوية الكون والمدينة والأشياء ، لأجل أن أنتصر بالحب على القتلة . على الذين يتربصون بي أيضا دون أن يعرفوا أنني أبقى لأجلك ولأجل أن أعيش في وطن وجدته فيك "[2].

[1] المرجع السابق ، ص 173.
[2] المرجع نفسه ، ص 175.

3) العنف الجسدي (الإغتيال) :

إن أقصى درجة يصل إليها العنف هي العنف الجسدي أي الإغتيالات التي تتم بتخطيط سابق بعد التربص والتجسس على الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في قائمة الإغتيالات ، فالعديد من هذه الإغتيالات كانت تستهدف كل شخص وقف موقف الرفض والتنديد والمعارضة لفكر المتطرف ، وكانت بالدرجة الأولى تستهدف أصحاب الفكر والوعي كالأدباء والمفكرين والصحفيين والمعلمين ورجال الشرطة ....إلخ.

فهؤلاء الإرهابيون يرون فيهم حجر عثرة أمام تحقيق مصالحهم ورغباتهم لكونهم من دعاة الوعي والتقصي الدائم للحقيقة وإدراك الأمور على حقيقتها .

فكانت معظم الجماعات المتطرفة تنتهج أسلوب التهديد والوعيد عن طريق إرسالها لرسائل تهديدية للمستهدفين فهدفها من ذلك بث الرعب والخوف والذعر في نفوسهم ، ففي رواية " وطن من زجاج " للروائية الجزائرية " ياسمينة صالح" ، كانت الإغتيالات المفاجئة والمباغتة مصير العديد من الشخصيات أمثال شخصية رشيد ضابط الشرطة ، والصحفي نذير والمصور كريمو صاحبي الراوي ، وشخصية الشرطي خطيب حبيبة الراوي .

أ) إغتيال رشيد (ضابط الشرطة) :

كان رشيد ضابط شرطة ملتزم بأداء واجبه نحو وطنه والدفاع عنه دائما في أصعب المحن والأزمات ، " كان إنسانا عاديا وبسيطا ومنصاعا إلى الواجب بشكل عجيب ...واجب الوطن ... وواجب الوفاء للوطن من دون أن يقف يوما ليسأل : لماذا لا يكون للوطن واجبه نحوي أيضا ! "[1].

[1] المرجع السابق ، ص 9.

كان إنسانا صالحا يتمتع بخلق طيب ، خفيف الظل يحب الجميع ، " حب بسيط وصادق ومدني "[1] ، فلقد كان حلمه حلما بسيطا ، حلما يحلم به كل مواطن جزائري وهو العيش في كنف أسرة يسودها الحب والطمأنينة والسكينة ، " كان يحلم بزوجة يحبها وتحبه وأطفال يراقبهم يكبرون وبيت تحيطه حديقة صغيرة يقضي وقت شيخوخته المبكرة في الإعتناء بها "[2] ، إلا أن هذا الضابط الإيجابي الملتزم والشريف رحل دون تحقيق الحلم الذي يرنو إليه كرحيل الآلاف من أبناء الواجب الوطني ، " لقد مات في إشتباكات حين كان يطارد جماعة مسلحة "[3] تاركا وراءه والدته وخطيبته ، فعلى الرغم من الصعوبات والمعيقات التي تحول دون أداء واجبه بالإستعداد الدائم لتلبية نداء الواجب المتمثل في توفير الإستقرار والأمن الوطني .

عن طريق مطارداتهم ومواجهاتهم اليومية للجماعات الإرهابية المتطرفة محاولين استئصالها من جذورها ، إلا أن إيمانه وقناعته كانا كبيرين بأداء واجبه الوطني ، ففي حديث عمي العربي والراوي ، كانا على معرفة بالرشيد أثناء تبادلهما أطراف الحديث في المقهى ، يقول عمي العربي للراوي : " لقد عرف الرشيد من البداية ما ينتظره .إنه ضابط شرطة يعرف أنه يعيش على كف عفريت في هذه الظروف يا بني ، لو خاف لترك عمله ولغادر البلاد كما فعل غيره ...

لو عاد الرشيد إلى الحياة لعاد إلى عمله في اليوم التالي ... لعاد لمطاردة القتلة والمجرمين بنفس القناعة وبنفس اليقين ... لو يعود ثانية ، فسيلبس بذلته الزرقاء ويتأبط رشاشة للذهاب إلى شغله ! "[4]، لقد كان ضحية عنف وهمجية الإرهاب الدموي الذي إجتاح الجزائر في فترة تسعينيات القرن الماضي مخلفا وراءه دمارا وخرابا ومذابح جماعية وقتلى بالجملة تقشعر لها الأبدان ، فكم من طفل يُتِمَ !.

---

[1] المرجع السابق ، ص 8.
[2] المرجع نفسه ، ص 23 .
[3] م ن ، ص 7.
[4] م ن، ص 24 .

وكم من إمرأة أغتصبت ! حالات وأعداد لا تحصى ، يقف أمامها الموطن الجزائري موقف العجز واليأس والإحباط واللاأمل في النجاة غدا من هذا الوحش المفترس لأبسط حق ألا وهو العيش في طمأنينة وسكينة وراحة بال .

ب) إغتيال النذير (ابن معلم القرية) :

النذير كان نموذج الصحفي الإيجابي الملتزم بأداء واجبه في نشر التوعية والدفاع عن حق مجتمعه ، والتنديد والرفض للأوضاع المزرية التي آلت إليها البلاد جراء الصراع من أجل السلطة بين الجماعات الإسلاموية المتطرفة ورجال السياسة ، فلقد كان الشعب بمثابة كبش فداء وقرابين راح ضحيتها الآلاف من أبنائه دون ذنب يذكر .

لقد كان إنسانا محبا للخير بدفاعه المستمر عن بسطاء الناس ومصالحهم الشخصية ، فهذا لا يحصل إلا عن طريق دخوله عالم الكلمة ، فقد كان " دخوله عالم الصحافة عن سابق إصرار وترصد ، دخلها كما يدخل المرء إلى جريمة يريد اقترافها كاملة "[1].

فآمن بنفس القيم الإنسانية النبيلة التي آمن بها والده ومات من أجلها ، " كان يردد دائما أن قيمة الإنسان في دفاعه عن قيمة وطنه "[2] ، فلقد كان حلمه حلما بسيطا .

حلما يحلم به كل صحفي إيجابي شريف ونبيل لقول كلمة الحق والتنديد والمعارضة لكل ظلم وتعسف وهمجية " حلم أن تصبح له جريدته الخاصة " [3]، فكان له ذلك بعد عناء شديد وتعب مضن كلل بنجاح لقد كان لكلمته صدى كبير في أوساط مجتمعه ، لكن تفشي ظاهرة الإغتيالات المبرمجة بعد ترصد وتجسس على المستهدفين حالت دون ذلك ، يقول الراوي : " أخبرني النذير أنه لم يعد يزور أمه منذ وصلت الاغتيالات إلى الشارع الذي يسكنه ، فقد أغتيل الكثير من الأشخاص الذين عرفهم ، ضباط وصحفيون وموظفون عاديون صار الحي خطيرا منذ صارت مقالاته مقروءة ، ومنذ تحول من صحفي جزائري

---

[1] المرجع السابق ، ص 63 .
[2] المرجع نفسه ، ص 65 .
[3] م ن، ص 63 .

إلى " مارق جزائري "[1] ، فحادثة الإغتيال كانت نتيجة حتمية متوقعة أمام واقع يشوبه الظلم والتعسف والهمجية وطغيان المصلحة الذاتية على المصلحة الجماعية ولتكون نهايته عينة عن آلاف الصحفيين الذين اغتيلوا دون ذنب يذكر سوى كونهم من أصحاب الكلمة !.

ج) إغتيال المصور كريمو :

كريمو نموذج المثقف السلبي المتملص من مسؤولية أداء واجبه نحو وطنه ، في نشر التوعية والتقصي الدائم للحقيقة ، فكان هدفه من وراء إلتقاطه صور المجازر الجماعية والمذابح الفظيعة والبشعة المرتكبة في حق الشعب الجزائري البريء الأعزل من طرف الجماعات الإسلاموية المتطرفة هو تشويه صورة الجزائر لدى الأمم الأخرى ، فدخوله عالم الصحافة وتخصصه في فن التصوير لم يكن عن سابق إصرار وقناعة كبيرة ، كان "شخصا يكره الصحافة ومع ذلك يشتغل فيها يقرف من الوطن ومع ذلك يسكنه ..."[2]

لقد عانى كثيرا من فقدان الجو العائلي والعاطفة الأبوية كونه نتيجة علاقة غير شرعية " لقد عاش وكبر في أحد الملاجئ ، كان والده على قيد الحياة ، ومع ذلك عاش الزواج يتيما . كان كريمو في الخامسة من العمر حين قررت أمه أن تتركه للملجأ بعد أن قررت ثانية "[3].لقد حرم من حقه الطبيعي بأن تكون له عائلة تحتضن فرحه وحزنه ، فكان أول إنكسار وخيبة أمل ألمت بكريمو منذ صغره .

لقد كان دائم الشعور بالحقد والضغينة تجاه والديه اللذين حملاه وزر ذنب لم يرتكبه، ذنب كونه ابن لقيط ، هذا العار الذي وصم حياته ولم يسمح بتحقيق الحلم الذي كان يرنو إلى

[1] المرجع السابق، ص 64 .
[2] المرجع نفسه، ص 75.
[3] م ن، ص 129.

تحقيقه وهو إنشاء عائلة وإنجاب أولاد بالزواج من حبيبته معتقدا بأن الحب كفيل بأن ينسيه ماض أليم عانى منه ومازال كأنه لعنة أبدية سلطت عليه دون ذنب اقترفه : " الحب

الذي اعتقده مناهضا للضغينة والحواجز الاجتماعية والإسمية ... لكنه أخطأ ... عندما قرر التقدم لفتاته رفضه أهلها وهدده أخوها بالقتل قائلا له : لا نزوج ابنتنا لابن الحرام ...!"[1] ، فقرر هذا الأخير الإنتقام لنفسه ولكرامته المجروحة والمهانة جراء كل الإنكسارات وخيبات

الأمل التي إعترت حياته منذ صغره دون أي ذنب سوى كونه ابنا غير شرعي عانى الإحتقار والدونية من طرف مجتمعه " فقرر أن ينتقم في لحظة جنون ... لم يكن إنتقامه إلا ردة فعل ارتكبها عن إحساس مسبق بأنه ابن حرام ، فجأة تحول كريمو من راغب في الزواج إلى راغب في الإنتقام ...

بسرعة تحولت حبيبته إلى عشيقته ، منحته نفسها عن حب ، كانت تقاسمه الشقة نفسها والسرير نفسه ، وفي المساء تعود إلى أبيها لتثبت ولاءها إليه! "[2].

لقد كان كريمو مثال المثقف السلبي المتخاذل والمحبط واليائس من واقع حياته المشوبة بالعار كونه لقيط ، ومن الواقع المأساوي للبلاد التي عاث فيها المجرمون والقتلة دمارا وخرابا في جميع مستوياتها من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، واقع دموي يحصد الآلاف من أبناء الشعب الجزائري ومن بينهم أصحاب الوعي والفكر المناهض والمندد لموجة العنف الهمجي والوحشي التي إجتاحت الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، كما كانت الاغتيالات المباغتة والمفاجئة مصير العديد منهم ومن بينهم المصور كريمو رغم مواقفه السلبية تجاه وطنه .

[1] المرجع السابق، ص 133.
[2] المرجع نفسه ، ص 133- 134.

4) عنف اللغة :

يكمن نجاح الروائية الجزائرية " ياسمينة صالح " في روايتها " وطن من زجاج " في طبيعة قالب اللغة التي صاغت به هذا العمل الروائي ، بحيث عمدت إلى نقل تفاصيل وحيثيات وقائع الأحداث الدموية للأعمال الإجرامية ، المرتكبة في حق الشعب الجزائري الذي عانى كثيرا ويلات الإرهاب الوحشي والهمجي لفترة عشر سنوات أدخلت البلاد دوامة العنف والقتل والذبح .

فالقارئ لهذا المتن الروائي يجد نفسه أمام لغة تحمل في دلالتها اللغوية بشاعة وفظاعة وعنف أشكال القتل والتعذيب والتذبيح والتنكيل التي سلطت على أبناء هذا الشعب الأعزل والبريء ، فكل كلمة وكل لفظة وعبارة تحمل معاني الألم واليأس والحسرة والأسى والإحباط واللاأمل من الواقع الراهن للجزائر، يقف أمامها المواطن الجزائري موقف العاجز والحائر من جراء الانكسارات وخيبات الأمل الكثيرة .

فجزائر التسعينيات ، جزائر الموت العشوائي المباغت والمفاجئ ، موت يحصد الآلاف من أبناء هذا الشعب دون تمييز وتفريق بين شرائحه الاجتماعية المختلفة ودون أي ذنب يذكر سوى كونهم جزائريين !.

فلغة هذا المتن الروائي تدخل القارئ عالما ليس كباقي العوالم ، عالما يسطو عليه الموت اليومي .

ليجد القارئ نفسه أمام مشاهد موتى وقتلى بالجملة تقشعر لها الأبدان ، فتتعالى صرخات ونواح وبكاء العديد من النساء الجزائريات كل دقيقة وفي كل لحظة ألما وحزنا وتحسرا على فقدان أحبائهن من أبنائهن وأزواجهن ، فهذه هي جزائر التسعينيات ! كما يجد نفسه أمام مشاهد أفعال التفجير العنيفة والرهيبة التي تستهدف العديد من المرافق والمنشآت العمومية كالمدارس والمستشفيات ومراكز الشرطة والمحلات التجارية والأسواق والمقاهي...إلخ .

فالنتيجة وخيمة جدا آلاف الضحايا ، عدد الجثث لا يُحْصى ولا يعد مبعثرة هنا وهناك . أشلاء متطايرة في الهواء ، ودخان أسود يعمي العيون ويحجب عنها الرؤية .

فالقارئ يلمس بشاعة العنف وهمجيته المسلطة على الشعب الجزائري من خلال العنف اللغوي الذي حاولت الرواية عن طريقه التأريخ لفترة من أقتم وأعتم فترات تاريخ الجزائر ، فنجد من المنطق أن تأتي اللغة على هذه الشاكلة من البشاعة والفظاعة والوحشية لإحداث تأثير في نفسية المتلقي بالتالي تفاعله واستجابته مع هذا المتن وإحساسه بألم وحزن الشعب ، لتصل درجة ذرف الدموع من جراء هذه المعاناة الرهيبة والحالة المأساوية التي ألمت بالبلاد لعشرية كاملة من جراء عملية التطرف الديني للجماعات الإسلاموية والعنف السياسي لرجال السلطة ، فليس من المعقول أن تكون لغة المتن ، لغة رومانسية ورقيقة تحمل في ثناياها وطياتها معاني الحب والحلم .

فلقد عمدت الروائية إلى تسليط الضوء على بشاعة وفظاعة الأعمال الإجرامية والوحشية للجماعات الإرهابية المتطرفة بإبادتها للعديد من المدن والقرى التي كان سكانها من عامة الناس ، بسطاء وفقراء ومحتاجين .

يقول الراوي واصفا الهجوم الذي تعرضت إليه ، " قرية في ضواحي مدينة "المدية" هاجمها المسلحون وقتلوا ثلاثين شخصا من أفرادها ، ذهبت ككل مرة لأغطي واقعة الموت.

كانت المجزرة أشبه برسم كاريكاتوري يومي ... داخل المجزرة فقط كان الوقت يبدوا حقيقيا وملموسا بحيث لا يمكن رؤية حقيقته المجردة إلا في عيون الناس الذين حكوا لنا

ما جرى في الليلة السابقة عيونهم التي يمتزج فيها الرعب والمرض والضغينة لكل شيء وعلى كل شيء ..."[1].

[1] المرجع السابق ، ص 72 .

كما يصف لنا في موضع آخر الحالة النفسية المتدهورة والمتأزمة لشيخ نجا من واقعة الذبح الوحشي للجماعات المسلحة في حق المدنيين العزل .يقول : " أتذكر ذلك الشيخ الذي وجدناه يبكي على عائلة لم يبق منها أحد ...جاء من مدينة أخرى هاربا من الإرهابيين الذين لحقوا به إلى هناك كما قال لنا ، معتقدا أنه السبب في موت سكان القرية التي آوته ..."[1].

كما وصف لنا أيضا في موضع آخر بشاعة وفظاعة المجازر والمذابح الجماعية التي لم يسلم منها لا طفل ولا إمرأة ولا شيخ فيقول : " كانت الجثث مرمية على الأرض غارقة في الدم ، كنا نبذل جهدا كي لا نمشي فوقها . رأيت أطفالا صغارا مذبوحين ، ونساء كانت لحظة الرعب الأخيرة قابعة على ملامحهن التي لم يبق منها سوى الجزع الأبدي ..."[2].

كما عمدت الروائية على لسان الراوي إلى تسليط الضوء على مدى بشاعة الخراب والدمار الذي ألحق بالعديد من منشآت الدولة خاصة التعليمية منها كالمعاهد والجامعات والمدارس يقول واصفا تلك الحالة :

" ذهبنا إلى إحدى المدارس في منطقة تعرض سكانها إلى مجزرة لم ينج منها إلا القليل ، ولكي تثبت البلدية أن لديها " رجال واقفون " قررت إعادة فتح المدرسة واستدعت إلى هذه التظاهرة العديدة من الشخصيات التي لم يأت منها أحد خوفا من الكمائن المنصوبة وسط الطريق من قبل الإرهابيين ... ذهبنا لنغطي إفتتاح مدرسة لم نعثر فيها على أمل قابل للحديث عنه ، لا شيء سوى رائحة الدم والموت القابع في عيون من بقوا من أطفال جلبهم الديكور إلى هناك لالتقاط صور لهم قبالة الكارثة ..."[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص 73 .
[2] المرجع نفسه، ص ن .
[3] م ن، ص 71.

كما عمدت الروائية أيضا إلى رصد الحالة النفسية المتدهورة والمتأزمة لرجال الشرطة والأمن الوطني ، حين يأتيهم بلاغ عن حدوث مجزرة ومذبحة مرتكبة في حق مدينة أو قرية تعرض سكانها لإبادة جماعية ، بعد تسليط مختلف أشكال التعذيب والتسليخ والتذبيح عليها دون رحمة أو شفقة من طرف هؤلاء الوحوش والهمجيين ! فلقد سجلت عدة حالات لرجال الأمن الذين تعرضوا لإنهيارات عصبية حادة جراء الكم الهائل للجثث المغمورة بدمائها يقول الراوي : " قال لي أحد الضباط الذين أعفوا من الخدمة إثر تعرضهم لإنهيار عصبي أنه كان يضطر إلى وضع الرؤوس مصفوفة في شاحنة عسكرية وتوضع الجثث في شاحنة أخرى لتنقل كلها إلى المستشفيات حيث يقوم الأطباء المختصون بخياطة الرؤوس إلى الجثث ... قال لي بمرارة أستطيع أن أفهم حدتها ، لنكتشف أن الخطأ صار فادحا حين تم إضافة رأس امرأة إلى جثة رجل ، رجل لم يعثر أحد على رأسه بينما المرأة لم يعثر أحد على جثتها ..."[1].

فاللغة العنيفة كانت سيدة الموقف في المتن الروائي التسعيني ، حيث نجد العديد من الروائيين الجزائريين على اختلاف توجهاتهم الإيديولوجية والفكرية والثقافية والسياسية يمتحون من مادة العنف والإرهاب الوحشي الذي إجتاح الجزائر في تسعينيات القرن الماضي ، لتكون كل عبارة ولفظة توحي بفظاعة وبشاعة ووحشية الواقع الدموي .

[1] المرجع السابق، ص 78 .

خاتمة

توصلنا في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي :

1. أرادت ياسمينة صالح أن تكون روايتها " وطن من زجاج " تاريخا لمسيرة الجزائر ما بعد الاستقلال إلى غاية فترة تسعينيات القرن الماضي ، بحيث نجحت إلى حد كبير جدا في تصوير مشاهد الخراب والدمار التي مست البنى الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد جراء الصراع المحتدم بين الجماعات الإسلاموية المتطرفة ورجال السياسة من أجل السلطة ، فتدني المستوى المعيشي لمعظم الأسر الجزائرية وبالتالي تفشي الفقر والجوع والبؤس وانتشرت الآفات الاجتماعية من سرقة وبطالة وإجرام ...إلخ .

2. لقد إستطاعت الروائية بقدراتها الفنية الكبيرة النفاذ إلى أعماق نفسية المواطن الجزائري الذي عانى كثيرا ويلات الإرهاب الوحشي والهمجي بحيث سلط عليه أقصى أشكال العنف من قتل وتعذيب وتذبيح وتنكيل فأصبحت مشاعره النفسية المتدهورة والمتأزمة تنحصر في الخوف والذعر والرعب واليأس والإحباط واللاأمل في غد أفضل .

3. ركزت رواية ياسمينة صالح على المثقف ، فجاءت معظم شخصياتها مثقفة (معلم ، صحفي ، مصور، ضابط الشرطة ، طبيب) ، كما تعتبر أيضا تأريخا حيا لمحنة وأزمة المثقف خلال دوامة العنف التي إجتاحت البلاد في تسعينيات القرن الماضي ، فعبرت بدرجات متفاوتة عن مشاكله وإنشغالاته وهمومه وصراعه اليومي من أجل البقاء على قيد الحياة بعد أن أصبح فريسة مفضلة يتسابق القتلة والطغاة للفتك بها .

4. تنوعت نماذج المثقفين في رواية " وطن من زجاج" فمنهم من أبدى رغبة كبيرة في إحداث تغيير ما تجاه الفساد والخراب والدمار الذي تفشى في البلاد بصورة مخيفة ورهيبة في تسعينيات القرن الماضي جراء الصراع القائم بين الجماعات الدينية المتطرفة ورجال السياسة من أجل إعتلاء كرسي الحكم ، إلا أنهم إنهزموا في آخر المطاف بتعرض معظمهم

للإغتيالات والتصفيات الجسدية ، ومنهم من أعلن إنهزامه منذ البداية بحيث سيطرت عليه مشاعر القنوط واليأس والإحباط واللاأمل في غد أفضل ، وطغيان النظرة السوداوية والتشاؤمية التي سيطرت على كينونته من جهة ونظرته للعالم من جهة أخرى ، فأصبح يعيش حالة ضياع وشتات ويشعر بعدم الانتماء لوطن قضى عليه القتلة والطغاة .

5. تعددت واختلفت المشارب الفكرية والتوجهات الإيديولوجية للشخصيات المثقفة في رواية " وطن من زجاج " للرواية ياسمينة صالح .

المصادر و المراجع

1) المصادر :

1. ساري محمد ، الورم، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2002.

2. سعدي إبراهيم ، صمت الفراغ ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، د ط ، 2006.

3. صالح ياسمينة ، وطن من زجاج، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2006.

4. مفتي بشير ، أرخبيل الذباب ، منشورات البرزخ ، الجزائر ، د ط ، 2000.

5. مفتي بشير ، بخور السراب ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2004.

2) المراجع :

1. الأحرش نفيسة ، كتابات إمرأة عايشت الأزمة ، منشورات جمعية المرأة في اتصال ، الجزائر، ط1، 2002.

2. إملودة محمود محمد ، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجا ، (دراسة في النقد الثقافي)، عالم الكتب الحديث ، عمان الأردن ، ط1، 2010.

3. بلعلى أمينة ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 2007.

4. حبيلة شريف ، الرواية والعنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009.

5. حرب علي ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1996.

6. حمدون سعاد ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، د ط ، 2010.

7. سنقوقة علال ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2002.

8. عبد الله العنزي سعاد ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010.

الفهرس

الموضوع:الصفحة :

المقدمة .....(أ-ب)

الفصل الأول

I- صور المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة .....(2-17)

*) تمهيد.....(2- 3)

1) المثقف و السلطة .....(3-7)

2) الشخصية الروائية المثقفة .....(7-9)

3) المثقف الإيجابي المضطهد.....(9-14)

أ) التعريف .....(9-10)

ب) نماذج المثقف الإيجابي المضطهد.....(10-14)

4) المثقف السلبي الإنتهازي .....(15-17)

أ) التعريف.....(15-15)

ب) نماذج المثقف السلبي الإنتهازي .....(16-17)

∏- صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة .....(18-27)

*) تمهيد .....(18-20)

1) العنف ضد المجتمع .....(20-21)

*) صور العنف ضد المجتمع .....(21-23)

2) العنف ضد المرأة .....(24-27)

*) تمهيد .....(24-25)

أ) المرأة المثقفة المعنفة .....(25-26)

ب) ظاهرة الإغتصاب .....(26-27)

الفصل الثاني

المثقف و العنف في رواية " وطن من زجاج "

ملخص الرواية .....(33-29)

*) تمهيد .....(36-34)

1) العنف الإجتماعي .....(42-36)

أ) شخصية معلم القرية .....(38-36)

ب) شخصية عمي العربي.....(42-38)

2) العنف المعنوي و النفسي .....(51-42)

أ) القهر النفسي للمرأة .....(43-42)

ب) جلد الذات (الراوي).....(51-44)

3) العنف الجسدي (الإغتيال).....(56-52)

أ) إغتيال رشيد (ضابط الشرطة).....(54-52)

ب) إغتيال النذير (إبن معلم القرية).....(55-54)

ج) إغتيال المصور كريمو.....(56-55)

4) عنف اللغة .....(60-57)

5) خاتمة.....(63-62)

6) قائمة المصادر و المراجع .....(66-65)

7) الفهرس .....(69-68)